مجلة الجامعة الإسلاميّة للغة العربيّة وآدابها

مجلة علميّة دوريّة محكمة

الجزء ٢

العدد :١٩
يناير - مارس ٢٠٢٦م

مجلة الجامعة الإسلاميّة للغة العربيّة وآدابها الجزء ٢


١٣٨
١٩٦


بسم الله الرحمن الرحيم

معلومات الإيداع

في مكتبة الملك فهد الوطنية

النسخة الورقية:

رقم الإيداع ١٤٤٣/٣٢٨٣ بتاريخ ١٤٤٣/٠٤/٠٢ هـ

ردمد: ١٦٥٨-٩٠٧٦

النسخة الإلكترونية:

رقم الإيداع ١٤٤٣/٣٢٨٤ بتاريخ ١٤٤٣/٠٤/٠٢ هـ

ردمد: ١٦٥٨-٩٠٨٤

الموقع الإلكتروني للمجلة

http: //journals. iu. edu. sa/ALS/index. html

ترسل البحوث باسم رئيس تحرير المجلة عبر المنصّة الإلكترونية

البحوث المنشورة في المجلّة تعبّر عن آراء الباحثين

ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة

جميع حقوق الطّبع محفوظة للجامعة الإسلامية

هيئة التحرير

د. تركي بن صالح المعبدي
(رئيس هيئة التحرير)
أستاذ النحو والصرف المشارك بالجامعة الإسلامية

د. خليوي بن سامر العياضي
(مدير التحرير)
أستاذ تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها المشارك بالجامعة الإسلامية

أ.د. عبد الرزاق بن فراج الصاعدي
أستاذ أصول اللغة والمعاجم بالجامعة الإسلامية

أ.د. عبدالرحمن بن دخيل ربه المطرفي
أستاذ الأدب والنقد بالجامعة الإسلامية

أ.د. الزبير بن محمد أيوب
أستاذ أصول اللغة والمعاجم بالجامعة الإسلامية

د. مبارك بن شتيوي الحبيشي
أستاذ البلاغة المشارك بالجامعة الإسلامية

أ.د. محمد بن ظافر الحازمي
أستاذ اللسانيات بالجامعة الإسلامية

د. عبد المجيد بن عثمان اليتيمي
أستاذ أصول اللغة المشارك بالجامعة الإسلامية

أ.د. عبدالله بن عويقل السلمي
أستاذ النحو والصرف بجامعة الملك عبدالعزيز

أ.د. علي بن محمد الحمود
أستاذ الأدب والنقد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أ.د. عبد الرحمن بن مصطفى السليمان
أستاذ اللّغات والآداب السامية والترجمة بجامعة لوفان – بلجيكا

أ.د. علاء محمد رأفت السيد
أستاذ النحو والصرف والعروض بجامعة القاهرة بمصر

أ.د. سعيد العوادي
أستاذ البلاغة وتحليل الخطاب بجامعة القاضي عياض بالمغرب

الهيئة الاستشارية

أ.د. محمد بن يعقوب التركستاني
أستاذ أصول اللغة بالجامعة الإسلامية

أ.د. محمد محمد أبو موسى
أستاذ ورئيس قسم البلاغة بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر

أ.د. تركي بن سهو العتيبي
أستاذ النحو والصرف بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أ.د. عياد بن عيد الثبيتي
أستاذ النحو والصرف بجامعة أم القرى

أ.د. سالم بن سليمان الخماش
أستاذ اللغويات بجامعة الملك عبدالعزيز

أ.د. ناصر بن سعد الرشيد
أستاذ الأدب والنقد بجامعة الملك سعود

أ.د. منصور بن محمد الغامدي
أستاذ الصوتيات الحاسوبية بهيئة تقويم التعليم والتدريب

أ.د. عبد الفتاح محمد حبيب
أستاذ النحو والصرف والعروض بكلية الزقازيق بجامعة الأزهر

أ.د. حسن دربر
أستاذ الترجمة وعلم المصطلح بجامعة القاضي عياض بالمغرب

أ.د. عزالدين محمد المجدوب
أستاذ اللسانيات بالجامعة التونسية

أ.د. محمد بن صالح الشنقيطي
أستاذ النقد الأدبي الحديث بجامعة جدارة بالأردن

أ.د. صالح بن الهادي رمضان
أستاذ الأدب والنقد بجامعة تونس

قواعد النشر في المجلة (*)

- أن يكون البحث جديداً؛ لم يسبق نشره.
- أن يتّسم بالأصالة والجدّة والابتكار والإضافة للمعرفة.
- ألا يكون مستلاً من بحوثٍ سبق نشرها للباحث.
- أن تراعى فيه قواعد البحث العلميّ الأصيل، ومنهجيّته.
- أن يشتمل البحث على:

– عنوان البحث باللغة العربية وباللغة الإنجليزية.
– مستخلص للبحث لا يتجاوز (٢٥٠) كلمة؛ باللغتين العربيّة والإنجليزية.
– كلمات مفتاحيّة لا تتجاوز (٦) كلمات؛ باللغتين العربيّة والإنجليزية.
– مقدّمة.
– صلب البحث.
– خاتمة تتضمّن النّتائج والتّوصيات.
– ثبت المصادر والمراجع باللغة العربية.
– رومنة المصادر العربية بالحروف اللاتينية في قائمة مستقلة.

- في حال (نشر البحث ورقياً) يمنح الباحث نسخة مجانية واحدة من عدد المجلة الذي نُشر بحثُه فيه، و (١٠) مستلات من بحثه.
- في حال اعتماد نشر البحث تؤول حقوق نشره كافة للمجلة، ولها أن تعيد نشره ورقيّاً أو إلكترونيّاً، ويحقّ لها إدراجه في قواعد البيانات المحلّيّة والعالمية – بمقابل أو بدون مقابل – وذلك دون حاجة لإذن الباحث.
- لا يحقّ للباحث إعادة نشر بحثه المقبول للنّشر في المجلّة – في أي وعاء من أوعية النّشر – إلاّ بعد إذن كتابي من رئيس هيئة تحرير المجلة.
- نمط التوثيق المعتمد في المجلة هو نمط (شيكاغو).

(*) يرجع في تفصيل هذه القواعد العامة إلى الموقع الإلكتروني للمجلة: http: //journals. iu. edu. sa/ALS/index. html

محتويات العدد

م	البحث	الصفحة
١)	الأثرُ الْفَلْسَفِيُّ والْمَنْطِقِيُّ فِي شَرْحِ ابْنِ يَعِيشٍ عَلَى الْمُفَصَّلِ دراسة في تداخل الفكر الفلسفي والتحليل النحوي **د. عواض محمد عطيان القارحي**	٩
٢)	الاستراتيجية الحجاجية في الأبواب التأسيسية من كتاب الأصول لابن السراج **د. عائشة قاسم علي شماخي**	٦٣
٣)	وصف الحيوان في الشعر الجاهلي –دراسة بيئية **د. عادل بن علي الغامدي**	١١٣
٤)	أسرار التجاور في آيات الربا والإنفاق في الذكر الحكيم **د. علي بن محمد آل نومة القحطاني**	١٦٥
٥)	الهُويَّة في رواية ما بعد الكارثة –دراسةً نقديَّةً مقارنةً في فرانكشتاين في بغداد لأحمد سعداوي والطَّريق لكورماك مكارثي **د. محمد بن لافي اللويش**	٢٣٧

م	البحث	الصفحة
٦)	الاستلزامُ الحواريّ في خِطاب السِّيرة الذاتية السُّعودية دِراسة تداولية في سِير غازي القصيبي أنموذجًا **د. مريم معيبد عبيد الرشيد**	٢٨٣
٧)	نبرُ الكلمةِ وتدفّق الدلالةِ في الخطابِ دراسةٌ في الديناميّةِ التواصليّةِ "تنظير وإنجاز" **د. نجلاء علي مطري**	٣٣٥
٨)	خطاب الحبّ في كتاب (الزهرة) لأبي بكر الأصفهاني **د. منى بنت سعود آل تويم**	٣٧٧
٩)	تقييم أداء النماذج اللغوية الضخمة (LLMs) في كشف وتصنيف الأخطاء الكتابية لدى متعلمي اللغة العربية لغة ثانية **د. خليوي سامر خليوي العياضي**	٤٢٩
١٠)	مصفوفة مقترحة للمهارات اللازمة لمهارة التحدث لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى وفقًا للإطار الأوروبي المرجعي المشترك **د. علي بن محمد الغامدي**	٤٧٧

أسرار التجاور
في آيات الربا والإنفاق في الذكر الحكيم

The Secrets of Juxtaposition in the Verses of Usury and Spending in the Noble Qur'an

د. علي بن محمد آل نومة القحطاني

أستاذ البلاغة والنقد المشارك بقسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الملك خالد

البريد الإلكتروني: amam9408@gmail.com

استلام البحث A Research Receiving		اعتماد البحث A Research Approving
06/10/2025		24/11/2025
نشر البحث A Research Publication		
شوال ١٤٤٧هـ = April 2026		
DOI:10.36046/2356-000-019-014		

المستخلص

هذا البحث الموسوم بـ(أسرار التجاور في آيات الربا والإنفاق في الذكر الحكيم) يهدف إلى دراسة التجاور في آيات الإنفاق والربا وأثره في السياق وتوجيه الدلالة من خلال الدراسة الصوتية، والتركيبية، والتناسب بين الآيات.

ولما كان ترتيب الآيات في القرآن العظيم أمراً توقيفيّاً: كان التوجه لمحاولة فهم العلاقة الترتيبية لآيات الربا مع آيات الإنفاق بهذا النسق المحكم المنظم، ومحاولة استجلاء المعاني الدلالية في ترتيبها وتركيبها وتناسبها، وما توحي به من توجيهات تشريعية انطوى عليها النظم القرآني برصفه الفريد.

وللوصول إلى تلك الغاية اتخذ البحث منهج التحليل البياني الذي يتوجه إلى تحليل النص بدءاً من المفردة وأثرها، وتثنيةً بالتراكيب وأبعادها، وانتهاء بالعلائق التناسبية النصية بين الآيات، وأثر ذلك في الدلالة المستفادة من الخطاب.

وقد انتهى البحث إلى نتائج عدة، من أهمها: أن مصطلح (التجاور) وجد في كتب البلاغيين القدماء بجانب مصطلحات أخرى تدور حول ترابط النص وتماسكه، وجودة ترتيبه، وحسن تنسيقه وأثر ذلك على المتلقي. ومنها: أن التجاور في آيات الإنفاق والربا شكّل صورة واضحةً في حسن الإنفاق وبركته مع أنه بذلٌ وإعطاء، وفي قبح الربا وحرمته ومهلكته مع أنه أخذٌ واجتناء؛ فظهرت حكمة الله البالغة وتجلت في أحسن كلام وأبلغ بيان، وزادت من وضوح المعنى الأصلي المراد وتأكيده، وهو تحريم الربا والحث على ما هو خير منه، وهو الإنفاق في سبيل الله وإعطاء الزكاة للمستحقين، والحذر من عاقبة حرب الله ورسوله.

الكلمات المفتاحية: التجاور– الربا – الإنفاق — الزكاة – الدلالة – التناسب.

Abstract

This research, entitled "The Secrets of Juxtaposition in the Verses of Usury and Spending in the Noble Qur'an," aims to examine the juxtaposition found in the verses on spending and usury, and its effect on context and the guidance of meaning, through phonetic analysis, syntactic study, and the examination of the coherence between the verses.

Since the order of verses in the Noble Qur'an is divinely ordered, the study seeks to understand the sequential relationship between the verses on usury and those on spending, as arranged in this precise and coherent manner. It, further, explores the semantic implications of this arrangement, structure, and harmony, as well as the legislative directives implied within the Qur'anic discourse, and its unique composition.

To achieve this goal, the study adopts the method of rhetorical-semantic analysis, which approaches the text by examining it at successive levels: beginning with the individual word and its effect, then moving to the structures and their dimensions, and finally to the textual relations of coherence between the verses, and how all of this influences the meaning derived from the discourse.

The research has led to several findings, most notably: that the concept of "juxtaposition" is present in the works of classical rhetoricians, alongside other terms related to textual cohesion, coherence, eloquent arrangement, and their impact on the recipient. Furthermore, the juxtaposition of the verses on spending and usury provides a vivid contrast: the beauty, virtue, and blessing of spending—though it entails giving—versus the ugliness, prohibition, and destructive nature of usury—though it involves taking. This contrast reveals Allah's profound wisdom, manifested in the most eloquent expression, which clarifies and emphasizes the central message: the prohibition of usury and the encouragement of what is better—spending in the manner Allah stated, and giving zakat to those entitled to it—while warning against the grave consequence of waging war against Allah and His Messenger.

Keywords: Juxtaposition, Usury, Spending, Zakat, Meaning, Coherence.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن اللغة العربية تتميز بجمال حروفها وتناغم أصواتها، وثراء مفرداتها، وبلاغة تراكيبها، وامتازت هذه اللغة حتى بلغت ريادة لم ينلها غيرها حين نزل بها القرآن العظيم؛ ذلك الكتاب الخالد الذي عجز البشر عن الإتيان بمثل فصاحته وبلاغته ونظمه، وهيمن على الكتب بمعجزاته وحقائقه، وما كان لهذا النظم الرباني إلا أن يصطفي ألفاظاً تتميز عن غيرها بجلال معانيها، وجمال وقعها، وتعدد دلالتها، وحسن اتساقها في نظمها وتراكيبها.

ومن إعجاز القرآن ترتيب ألفاظه وآياته بحكمة بالغة، تتجاور فيها الحروف والكلمات والأساليب على اختلافها وتنوعها، كما يأتي التجاور في التراكيب أصلاً من أصول الخطاب القرآني، ويستدعي الناظر أن يبحثَ في سرِّ هذا التجاور وأسبابه، ويغوصَ فيه ليستخرج من أسراره العميقة ودرره الكامنة، ويستجلي الحقائق واللطائف البلاغية الغائرة؛ ومن هنا كان التوجه إلى دراسة التجاور في الآيات، ووقع الاختيار على آيات الإنفاق والربا للكشف عما بينهما من علائق، فجاء عنوان البحث: **(أسرار التجاور في آيات الربا والإنفاق في الذكر الحكيم)**.

وتأتي أهمية هذا الموضوع من جهة محاولة فهم العلاقة بين تجاور الأساليب الصوتية والتركيبية الدلالية في آيات الإنفاق والربا، والعمل على المقارنة بين المعنيين وبيان الفجوة بين العاقبتين، وفهم الأثر النفسي في المتلقي الذي يميز الغاية من وراء الخطاب القرآني، فيميل إلى التوجيه القرآني للبذل والإنفاق بدلًا من الربا الذي له آثار سيئة على الفرد والمجتمع في دينه ودنياه، كما يبين التدرج الأسلوبي الذي يتخذ من التجاور هيئة للبناء المؤثر في المتلقي، **ولأهمية هذا النوع من الدراسة**

وقلة التوجه إليه كان اختياره ميداناً للبحث والتحليل، ويسعى البحث إلى تحقيق أهدافه، المتمثلة في:

١- الكشف عن الوشائج العلائقية في تركيب الألفاظ وتأليف الجمل والسياق الخطابي بين آيات الإنفاق والربا.

٢- بحث المفردات القرآنية وأهميتها الصوتية، والدلالية، والتوظيفية الإعجازية في موضعها، وتناغم هذه الدلالة مع الدلالة التركيبية.

٣- البحث في المتلقي واستقباله لهذا الخطاب، وأثر التجاور في الآيات على نفسه، وفهمه للتأويل ومقصدية الخطاب.

وقد اتخذ البحث من أجل الكشف عن أهدافه منهج التحليل البياني الذي يقوم على تحليل المفردة القرآنية صوتيًّا، ودلاليًّا، ومناسبتها ما جاورها من حروف وألفاظ مقارنة لها، ثم البحث عن التراكيب، والتي قصرها البحث على علم المعاني، واستحضار أغراض النظم وجمالياته، ثم البحث عن المناسبة بين الآيات والتي تظهر المجاورة وأثرها في المعنى، على أنَّ مِن منهجية البحث عدم استقصاء كل المفردات الواردة في الآيات، وكذا التعرض لكل التراكيب بالتفصيل نظرًا لضيق البحث عن ذلك.

وتتمثل مشكلة البحث في فرادة الموضوع وقلة طَرْقه عند الباحثين؛ فهذا البحث المتوجه لفهم علاقة التجاور في آيات الإنفاق والربا لم أجد من تعرض له بالدراسة، وهو بحث تطبيقي يتجه للبحث في أسلوبٍ عليٍّ يعجز عن طاقته البشر، وهذا يكلف أمانةً وجهداً في البحث والتقصي والاجتهاد في توجيه تلك المعاني وبيان أسرارها من جهة التجاور في النظم العزيز المُبهر، كما أنه يتطلب البحث في كلام المتقدمين والمحدثين من أهل النظر البلاغي، واللساني أيضاً.

ولتحقيق ذلك فقد انطلق البحث من عدة فرضيات وتساؤلات، أهمها:

١- كيف تناول البلاغيون القدماء التجاور؟ وما دور التجاور في السياق النصي؟

٢- ما أهمية التجاور في آيات الإنفاق والربا؟

٣- لماذا جاءت هذه الآيات في سياق متجاور ولم ينزل تحريم الربا منفصلًا بعيدًا عن آيات الحث على الإنفاق؟

واقتضت طبيعة الدراسة أن تكون خطة البحث في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة:

- **المقدمة:** حوت المقدمة أهمية الموضوع وأسباب اختياره، ومنهجه، ومشكلته وأهدافه، وخطته.
- **التمهيد:** وفيه الحديث عن مفهوم التجاور في اللغة، وعند البلاغيين، وثبت بالآيات موضع الدراسة.
- **المبحث الأول: التجاور الصوتي.**
- **المبحث الثاني: التجاور التركيبي.**
- **المبحث الثالث: التناسب وعلاقة الآيات بعضها ببعض.**
- **الخاتمة:** وقد حوت أهم ما توصل إليه البحث من نتائج، ثم التوصيات، ثم ثبت المراجع والمصادر.

وبعد فأرجو أن أكون وفقت فيما نهض إليه هذا البحث من أهداف، وأن ألفت الانتباه إلى نظرة بلاغية جديدة للنص القرآني تبحث عن الوشائج العلائقية في التجاور في الآيات، فقد كان البلاغيون سبَّاقين دائمًا للغرف من بحار أنوار الكتاب العزيز وبيان أوجه نظمه المتفرد وإعجازه المبهر.

تمهيد

مفهوم التجاور في اللغة:

جاءت لفظة المجاورة والتجاور في المعاجم العربية دالةً على عدة معانٍ، أهمها: الملاصقة والقرب من الجار، ففي "العين": "والجارُ: مجاورك في المسكن. والذي استجارك في الذِّمة تجيرهُ وتمنعه. والجِوار مصدر من المجاورة. والجِوارُ: الاسم. والجميع: الأجوار. والجيرانُ: جماعةُ كلِّ ذلك، أي: الجيرة والأجوار"(١).

وفي "اللسان": "والجِوارُ: المجاورة والجار الذِي يُجاورك. وجاور الرجلَ مُجاورةً وجِواراً وجُواراً، والكسر أَفصح: ساكَنَهُ. وإنه لحسَنُ الجيرَة: لحالٍ من الجِوار وضَرْبٍ منه. وجاوَرَ بني فلانٍ وفيهم مُجاورةً وجواراً: تَحَرَّمَ بجوارهم وهو من ذلك، والاسمُ الجِوارُ والجُوارُ... وجارُك: الذي يُجاورك، والجمع أجوارٌ وجيرةٌ وجيرانٌ... وتَجاورُوا واجْتَورُوا بمعنَى واحدٍ: جاوَرَ بعضهم بعضاً"(٢).

ولا شك أن التجاور من عادته التأثر والتأثير؛ فالتجاور بين الأشخاص ينقل العادات ويشكل تقاربًا بين المتجاورين، وهو ما نريد الإلماح إليه في الأسلوب البلاغي، فإن المجاورة بين الأساليب في الحديث عن شيئين متغايرين تُحدث تقاربًا في الأسلوب البلاغي والخطابي.

مفهوم المجاورة عند البلاغيين:

بالنظر في كتب البلاغة العربية نجد أن (التجاور) ورد مبثوثا بجانب مصطلحات

(١) الخليل بن أحمد الفراهيدي، "كتاب العين"، تحقيق: د. مهدي المخزومي– د. إبراهيم السامرائي، (القاهرة: دار ومكتبة الهلال، د.ت)، ٦: ١٧٦.

(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، دار صادر– بيروت، ط ٣، ١٤١٤هـ، ٤: ١٥٣.

أخرى تدور حول ترابط النص وتماسكه، وجودة ترتيبه، وحسن تنسيقه، حتى يبدو نسيجًا متلاحمًا يعلن آخرُه عن أوَّله، ويُسلِم أولُه إلى آخره؛ وعليه يكون التأثير في المتلقي أبلغ، ووقعه عليه أشد؛ ولذا نجد من جماليات النص حسنَ السبك وجودتَه؛ يقول أبو هلال العسكري (٣٩٥هـ): "ينبغي أن تجعل كلامك مشتبها أوله بآخره، ومطابقًا هاديه لعجزه، ولا تتخالف أطرافُه، ولا تتنافر أطرارُه، وتكون الكلمة منه موضوعةً مع أختها، ومقرونةً بلِفقها"(١).

ويقول الجاحظ (٢٥٥هـ) في سياق حديثه عن شروط البلاغة: " ومن شروط البلاغة: متانةُ العبارة التي تعني ربطَ ألفاظ الجملة ببعضها ربطًا محكمًا لا هلهلةَ فيه ولا خلل، فأجودُ الشعر ما رأيتَه متلاحم الأجزاء سهلَ المخارج؛ فتعلم بذلك أنه قد أُفرغ إفراغًا وسُبك سبكًا واحدًا، فهو يجري على اللسان كما يجري الدِّهان"(٢).

وهذا في الشعر العربي وبيان العربي، فكيف بالقرآن الكريم الذي فاق بيانهم حسناً وإحكاماً؛ حتى كان معجزاً ببيانه وحسن سبكه ورصفه، وترابط أجزائه ترابطًا محكماً، وعَجَز عن مثله أهل البيان حتى انقطعوا، مع أنه من جنس بيانهم وما يجري به لسانهم.

وتحدث ابن قتيبة (٢٧٦هـ) عن أقسام الشعر؛ ميزاته وعيوبه، فقال: "وتتبيّن التكلّف في الشعر أيضًا بأن ترى البيت فيه مقرونًا بغير جاره، ومضمومًا إلى غير لِفقه"(٣).

ويعني بذلك أن التجاور له أهمية كبرى في تقبّل الشعر لدى المتلقي وتأثيره فيه،

(١) أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله، "الصناعتين"، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم. (د.ط، بيروت: المكتبة العصرية، ١٤١٩هـ): ١٤١، ١٤٢.

(٢) عمرو بن بحر الجاحظ، "البيان والتبيين"، (بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٤٢٣هـ)، ١: ١٨.

(٣) عبد الله بن مسلم ابن قتيبة، "الشعر والشعراء"، (د.ط، القاهرة: دار الحديث، ١٤٢٣هـ)، ١: ٩٠.

كما أن له أهمية في فهم الدلالة والمناسبة لهذا التجاور؛ فإذا ضُم البيت لغير مجاوره الذي يفيد المعنى ويزيد في الدلالة، ويعمل على ترابط الأفكار واتصالها: فهو من الشعر الرديء المتكلف.

أما ابن طباطبا العلوي (٣٢٢هـ)، فقد انتقل من مرحلة التنظير إلى مرحلة التطبيق؛ إذ ركّز على فكرة التجاور التي تزيد في السبك والحبك للنص، وتعطيه تسلسلًا طبعيًّا للأفكار التي لا تنتقل من البعيد إلى الأبعد في شتات، وإنما ترتكز على فهم الدلالة من التجاور الصحيح، فيقول: "وينبغي للشاعر أن يتأملَ تأليفَ شعرِه، وتنسيقَ أبياتِه، ويقفَ على حُسن تجاورها أو قبحه؛ فيلائم بينها؛ لتنتظم له معانيها ويتصل كلامُه فيها، ولا يجعل بين ما قد ابتدأ وصفَه وبين تمامه فضلًا من حشوٍ ليس من جنس ما هو فيه؛ فيَنسي السامع المعنى الذي يسوق القول إليه. كما أنه يَحترز من ذلك في كل بيت فلا يُباعد كلمةً عن أختها، ولا يَحجز بينها وبين تمامها بحشوٍ يشينها، ويتفقد كلَّ مصراعٍ هل يشاكل ما قبلَه؟ فربما اتفق للشاعر بيتان يضع مصراعَ كلِّ واحدٍ منهما في موضع الآخر، فلا يتنبه على ذلك إلا من دقَّ نظرُه ولطُف فهمُه"(١).

فهذا الحديث من ابن طباطبا عن حسن التجاور، وأن تركه يؤدي إلى القبح: قد سبق به مَن بعده، ولم يكتف بالتنظير؛ بل عمد إلى بعض أبيات الشعر عند فحول الشعراء فأراد تبديل مصراعيها مطبّقًا لهذا الفهم الجديد الذي به يؤدي حُسن التجاور إلى فهم الدلالة، أفضل وأسرع من إزالة الحشو الذي اعترضها؛ فجاء ببيتين لامرئ القيس، ثم بيتين لابن هَرمة، وبيتين للفرزدق؛ فقال عن بيتي امرئ القيس: إن الواجب أن يكونا هكذا حتى يكونا أشكل في استواء نسيجيهما، وهو يؤسس ذلك على فكرة التجاور، قال: "ولو وضع مصراع كلِّ واحد منها في موضع الآخر كان أشكلَ وأدخلَ

(١) محمد بن أحمد ابن طباطبا، "عيار الشعر". تحقيق: عبد العزيز بن ناصر المانع، (د.ط، القاهرة: مكتبة الخانجي، د.ت)، ٢٠٩.

في استواء النسج، فكان يُروى:

كـأنيَ لم أركـب جوادًا ولم أَقُـل لخيليَ: كري كرةً بعـد إجفـالي

ولـم أسبأِ الـزّقَّ الـرويَّ للـذةٍ ولم أتبطّن كاعبًا ذاتَ خلخالِ"[1]

فابن طباطبا ينتقل بهذا العمل من التنظير إلى التطبيق على الأبيات لأهمية التجاور في فهم الدلالة، وجودة السبك، والارتقاء بالأسلوب.

ويؤكد عبد القاهر الجرجاني أن ما أعجز العرب في النظم القرآني هو حسن التجاور والانسجام، وإنْ عبَّر عنه بألفاظ أخرى (كالنظام والالتئام)، فيقول: "وبهرهم أنهم تأملوه سورة سورة، وعشرا عشرا، وآية آية، فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبو بها مكانُها، ولفظة يُنكرُ شانُها، أو يُرى أن غيرها أصلح هناك أو أشبه، أو أحرى وأخلق، بل وجدوا اتساقًا بهر العقول، وأعجز الجمهور، ونظامًا والتئامًا، وإتقانًا وإحكامًا، لم يدع في نفس بليغ منهم، ولو حك بيافوخه السماء، موضع طمع، حتى خرست الألسنُ عن أن تدعي وتقول، وخَذيت القُرُوم فلم تملكْ أن تَصول"[2].

فالبلاغيون والنقاد قد عرفوا التجاور وإن استعملوا مصطلحاتٍ متقاربة تدور حول فهم الغاية نفسها من الإحكام والتلاحم في بيان القرآن الكريم.

---

(١) المرجع السابق: ٢١٠. والرواية الصحيحة للبيتين من المعلقة:

كـأنيَ لم أركـب جـواداً لـلـذةٍ ولم أتبطن كـاعبـاً ذاتَ خلخـالِ

ولم أسـبـأ الزّقَّ الرويَّ ولم أقـل لخيليَ: كري كَرةً بعـد إجفـالِ

امرؤ القيس. "ديوان امرئ القيس". تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (ط٥، القاهرة: دار المعارف): ٣٥.

(٢) عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، "دلائل الإعجاز". تحقيق: محمود محمد شاكر، (ط٣، القاهرة: مطبعة المدني، ١٩٩٢م): ٣٩.

والحق أن آلية التجاور تعمل على رصد الغاية من وراء الخطاب، وكشف المقصدية، والوحدة الدلالية للسياق، ومن خلال التحليل الصوتي والبلاغي للمفردات والتراكيب، والتناسب بين الآيات يحاول البحث الوقوف على هذه الغاية من وراء الخطاب القرآني.

ولقد وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم تحث على الإنفاق في سبيل الله بشتى أنواعه، سواء الصدقات أم الزكوات أم الإنفاق المطلق في سبيل الله، وليس هدف البحث دراسة أساليب آيات الإنفاق بأنواعه، لكن مما يلفت النظر تجاور آيات الإنفاق الذي حث عليه القرآن الكريم بآيات الربا الذي حذّر منه القرآن ومن فاعله، فكما جاء الأمر في كتاب الله بالإنفاق من طيب الكسب جاء التحذير الشديد من أكل أخبث الكسب وهو الربا، وقد جاء هذا التقابل في أربعة مواضع في القرآن الكريم:

- **الموضع الأول**: في سورة البقرة، في عشر آيات متتابعة، وهي من الآية (٢٧٠) إلى الآية (٢٨٠).
- **الموضع الثاني**: في سورة آل عمران، في أربع آيات متتابعة، وهي من الآية (١٣٠) إلى الآية (١٣٤).
- **الموضع الثالث**: في سورة النساء، وهي في آيتين متتابعتين، وهما من الآية (١٦٠) إلى الآية (١٦٢).
- **الموضع الرابع**: في سورة الروم، في أربع آيات متتابعة، وهي من الآية (٣٦) إلى الآية (٣٩).

المبحث الأول: التجاور الصوتي

الصوت في اللغة هو الجَرس[1]، ولأهمية الصوت صار علمًا مستقلًا من علوم اللغة، يدرس فيه تأثير الأصوات المختلفة على آلة السمع، وقد عرف القدماء الصوت وبرعوا في تحليله، بداية من الخليل بن أحمد، ومرورًا بالعلامة ابن جني الذي أبدع في هذا المجال.

والصوت كما يقول الجاحظ: "هو آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم به التقطيع وبه يوجد التأليف، ولن تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاماً موزوناً أو منثوراً إلا بظهور الصوت، ولا تكون الحروف كلاماً إلا بالتقطيع والتأليف"[2].

والجاحظ هنا يضع أيدينا على أهمية النطق بالكلام، ووضوح الأصوات في السمع، مما يجعل المتلقي متمثلًا للمعاني، كما يفجر الطاقة الصوتية في اللفظ الذي نفهم معناه حين نطقه بطريقة معينة من الارتفاع أو الانخفاض، ونستشعر الدلالة عبر النبر والتنغيم، والجرس والإيحاء، وما يفشو به الصوت ويشيع من معانٍ توحي بها تلك الأصوات.

إن دراسة المستوى الصوتي للغة يفيد الدارس التمييز بين الأصوات الضعيفة والأصوات القوية؛ فكل لغة تتميز بهذين النوعين من الأصوات: أصوات واضحة قوية، وأصوات ضعيفة، وقد اتجه العلماء إلى تقسيم الأصوات الكلامية إلى قسمين: (صوامت، وصوائت)، وهذا التقسيم قائم على الناحية الفيزيائية لإنتاجية الصوت؛ فالهواء يندفع عبر الجهاز النطقي فيحتك بأعضائه في مناطق معينة يحدث لنا من خلال ذلك أصواتًا مفهومة، هذه الأصوات هي ما قسمها العلماء إلى الصوامت (Consonants)، والصوائت (Vowels)، ويتناول المستوى الصوتي دراسة مخارج

(١) الفراهيدي، "كتاب العين"، ٦: ٥١.

(٢) الجاحظ، "البيان والتبيين"، ١: ١٢.

الحروف وتناسبها مع بعضها، وأهميتها في إنتاج الدلالة وإيحاءاتها[١].

ثم الدلالة التي هي محل البحث البلاغي ليست هي الدلالة الأولى التي يتجه إليها الدرس اللغوي، وإنما هي الدلالة الثانوية الإضافية لتلك الأصوات، وهي تدخل أصالةً في إطار ما عرف بعدُ بالبلاغة الصوتية.

وقد اهتم المتقدمون من البلاغيين والنقاد واللغويين بظاهرة البلاغة الصوتية؛ فليست هي بالعلم المستحدث تناولاً؛ بل تمتد جذورها في عمق التأليف؛ فقد حوم حولها اللغويون والأدباء والبلاغيون والنقاد ولم يخف عليهم وهم يطلقون أوصافاً معينة على الألفاظ مدى ارتباط اللفظ بالمعنى؛ فلم يكن اهتمامهم بالصوت إلا من أجل مدلوله؛ فالجاحظ يعرف الصوت بأنه آلة اللفظ – كما سلف – وقد كانت له رؤية شاملة لبلاغة الصوت وإن لم تأت مرتبة؛ فله حديث عن الحروف والألفاظ والعبارة جاء موزعاً خلال موضوعات أدبية شتى، فعن الحروف نراه يسجل نظام اجتماعها في الكلمة العربية، كما يشير إلى أهمية مشاكلة اللفظ للمعنى جرسا وإيحاء[٢]، وفي كلامه عن الألفاظ مشكّلة في الجملة والعبارة ينبه إلى أهمية حسن الموقع؛ لأنه جماع البلاغة، وكان وقوف الجاحظ على أهمية مشاكلة اللفظ للمعنى إشارة إلى ضرورة مطابقة الصوت واللفظ لحال المستمعين وأقدارهم: "ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ولكل حالة من ذلك مقاما"[٣]. ويتميز القاضي الجرجاني بملاحظته الارتباط القوي بين صفة الصوت والنغم والجرس، وبين طبائع الناس ونفسياتهم، وقيمة ذلك

(١) ينظر: الخولي، محمد علي، الأصوات اللغوية – النظام الصوتي للغة العربية، دار الفلاح– عمّان، الأردن، ط ١، ١٩٩٠م.

(٢) الجاحظ، عمرو بن بحر. "البيان والتبيين". (بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٤٢٣هـ)، ١: ٦١.

(٣) المرجع السابق، ١: ١٣١

ليس في ربطه بين رقة الشـــعر وبين طبائع الشـــعراء وظروفهم النفســـية، ولكن لأنه يكشف عن جوانب في بلاغة الصوت [١].

ويأتي اهتمام ابن جنى بمحاكاة اللفظ للمعنى لما يســـتتبع ذلك من قوة الدلالة، ويعقد باباً في "إمســاس الألفاظ أشـباه المعاني" وآخر في "تصـاقب الألفاظ لتصـاقب المعاني"، ويقول: "فكلما ازدادت العبارة شَبَهًا بالمعنى، كانت أدلَّ عليه وأشهد بالغرض فيه"[٢]، وهذا يُدرس في صـــميم البلاغة الصـــوتية التي تلتقي مع موضـــوعات – علم البيان أيضاً – في غرض أصيل هو قوة الدلالة ووضوحها. في حين يمسّ الرماني بلاغة الصـــوت من خلال حديثه عن سمة التلاؤم في القرآن الكريم[٣]، ويهتم ابن ســـنان في "سر الفصاحة" بالناحية الصوتية بوصفها مقدمةً للحديث عن الفصاحة[٤].

أما عبد القاهر الجرجاني فإن لم يصـرح بالاهتمام بالبلاغة الصـوتية؛ فلأن شـغله كان قضـــية النظم والعلاقات؛ إلا أنه ربط بين فصـــاحة اللفظة وبين انتظامها في التركيب ربطا صريحا حين يقول: " وجملة الأمر أنا لا نوجب الفصاحة للفظة مقطوعة مرفوعة من الكلام الذي هي فيه، ولكنّا نوجبها لها موصـــولة بغيرها ومعلقاً معناها بمعنى ما يليها"[٥].

(١) محمد إبراهيم شادي، "البلاغة الصوتية في القرآن الكريم". (ط١، القاهرة: شركة الرسالة-الدقي: ١٥.

(٢) أبو الفتح عثمان بن جني، "الخصائص"، تحقيق: محمد علي النجار، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٧٧هـ)، ٢: ١٥٤.

(٣) الرماني، علي بن عيسى، "النكت في إعجاز القرآن"، تحقيق: محمد خلف الله، محمد زغلول سلام، (ط٣، مصر: دار المعارف، ١٩٧٦م): ٩٥.

(٤) عبد الله بن سنان الخفاجي، "سر الفصاحة"، (ط١، مصر: دار الكتب العلمية، ١٤٠٢هـ):٢١.

(٥) الجرجاني، "دلائل الإعجاز": ٣٦٧.

ثم يأتي بعده ابن الأثير مهتماً بالأصـــوات من الوجهة الجمالية، ويعوّل على الحس الفني والسـمعي تعويلاً كبيراً عند الحكم على الأصـوات بالحُسـن أو القبح، كما أنه جعل الجزالة والرقّة مرتبطة ببلاغة الصوت، يقول: "ولست أعني بالجزل من الألفاظ أن يكون وحشـــيا متوعراً ... بل أعنى بالجزل أن يكون متينا على عذوبته في الفم ولذاذته في السـمع، وكذلك لسـت أعني بالرقيق أن يكون ركيكاً سـفسـفاً، وإنما هو اللطيف الرقيق الحاشية الناعم الملمس"(١).

وقد استفاد المتأخرون من ذلك، من أمثال العلوي وابن أبي الإصبع(٢)؛ ففصلوا القول فيه ورتبوا وأفادوا منه في بحثهم عن وجه تميز القرآن عن غيره من الكلام؛ ليأتي بعدهم المحدثون ويستثمروا هذا العلم ويصرحوا بتسمية هذا النوع من البلاغة "بالبلاغة الصـوتية" كما فعل الرافعي(٣)، وتلمسـوه في بحثهم عن وجه إعجاز القرآن كما فعل عبدالله دراز وغيره مما طرق باب الإعجاز وتجلى بصـــورة ظاهرة في الدرس البلاغي الحديث من حيث الاهتمام بالجرس والإيحاء والقيم الصـوتية وغير ذلك مما يجلي أهمية هذا الجانب في بلاغة النظم العلي والعالي(٤).

وخصّ محمد إبراهيم شـادي هذا النوع من الدراسـة بكتابه "البلاغة الصـوتية في القرآن الكريم"، وحدد جوانبها في قيمٍ صـــوتيةٍ ثلاث، هي: الجرس والإيحاء ثم التأليف

(١) ضياء الدين بن محمد ابن الأثير، "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر"، تحقيق: أحمد الحوفي – بدوي طبانة، (ط٢، القاهرة: دار نهضة مصر): ١٠٠.

(٢) يحيى بن حمزة العلوي، "الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز"، (ط١، بيروت: المكتبة العنصرية،١٤٢٣هـ)، ٣: ٢١٥-٢٢٦، وعبد العظيم بن الواحد بن أبي الإصبع، "بديع القرآن". تحقيق: حنفي شرف، (ط١، القاهرة: دار النهضة): ١٩٣.

(٣) مصطفى صادق الرافعي، "إعجاز القرآن والبلاغة النبوية"، (ط٨، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٢٥هـ): ٢٤٥.

(٤) ينظر: شادي، "البلاغة الصوتية في القرآن الكريم": ص ١٢ فما بعدها.

الذي يتناول الإيقاع، ولا بد أن تكون متشـــابكةً متداخلةً تتآزر وتتناغم لتعطي الأسلوب صورته الصوتية اللافتة المؤثرة، وإن كان تناولها مجزّأةً يعطي قيماً صوتية ينبغي أن يهتم بها الدرس البلاغي. وعرّف البلاغة الصوتية: "بأنها كل وسيلة صوتية يتحقق فيها مفهوم البلاغة بمعناها المصطلح عليه عند البلاغيين، فلا بد من ملاحظة أمرين:

الأول: أن تتجاوز الإطار الصوتي بجرسه وإيحائه، وإيقاعه واعتداله، إلى ما يحدثه من إبراز المعنى وتأكيده، وتسلسله، وانتظامه.

الثاني: أن يتحقق بالأداء الصوتي مطابقة الكلام لمقتضى الحال"(١).

وهذا النوع من الدراسة دقيق المسلك جداً، وجديرٌ بالاهتمام ولفت الانتباه، وإن كان محفوفاً بشيء من الحذر عند تناوله في القرآن الكريم؛ لما فيه من الخفاء، وما يحتاج من الأدوات المتضافرة للكشف عن جلال المعاني الخفية فيه، وجمال الإيقاع والتوازن الصوتي في الأساليب، وما يحتاج إليه من الحذر وتوقي التكلّف فيه، وقد لفت إليه محمد أبو موسى بقوله: "وأنا لا أبحث عن التشابه في المطلعين، وما وراءه من تشابه في المقصودين؛ لأن هذا سهل، ولا أبحث عن أسرار هذا التلاؤم الصوتي؛ لأني لم أقرأ فيه كلاماً يعين على فهمه، وإنما أتَسَاءل لماذا السكوت هذا الزمن الطويل عن البحث في أسرار هذا التلاؤم الصوتي؟ مع أن الرماني قال في القرن الرابع: هو وجه من وجوه إعجاز القرآن، ولكنه لم يتكلم كلمة واحدة في سرٍّ واحد من أسراره، والذي أعتقد أن لهذا التلاؤم دلالات على معانٍ، وأن مما يدل على ذلك أننا نجد هذا التلاؤم أو هذا النغم يتغيّر في السورة بتغير المعاني، اقرأ سورة العاديات. وراجع الحاء في (صُبحاً، وقَدحاً) ثم توقفت الحاء، وجاءت العين في (نقعاً وجَمعاً)، ثم توقفت العين، وجاء الدال مع تغيّر المعنى، ولا يمكن أن نقبل أنه ليس هناك مناسبة في الفواصل التي جاءت فيها بين المعنى وهذه الحاء، وإلا لماذا غابت الحاء وجاءت العين، ولا يمكن أن

(١) المرجع السابق: ١١.

تجِيء العين بدل الحاء إلا وهناك مناسبة بين المعنى الجديد وهذه العين وهكذا، اقرأ ما شئت من سور القرآن، وتوقف عند انتقال الفواصل في سر ارتباط هذا التغير في الفواصل بالتغيير في المعنى، ولا شك أننا نقدِّر تهيّب العلماء من الدخول في بحث هذه الأسرار في القرآن؛ لأن القرآن بيان لمراد الحق من الخلق، فلا يصح فيه إلا المعاني الواضحة والتي تدل عليها اللغة دلالة قاطعة، وكان يمكن أن تكون دراسة هذه الملاءمات الصوتية في الشعر وكلام كبار الكتاب عوناً ومعيناً ومساعداً للحديث عنها في الكتاب العزيز، وقد تعودنا على أن نحفظ الغُنَّة والمد والنغمة في القرآن، ونقرؤه أحياناً ببكائية، والبكائية صوت ونغم، ولكننا نتهيب الكلام في المعاني، ونعوّل في المعاني على الذي في كتب التفسير والمروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه"[(١)].

دراسة التجاور الصوتي في آيات الدراسة

قال تعالى: ﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾﴾ [سورة البقرة: ٢٧١].

– **جاءت لفظة:** {تُبْدُواْ} في هذه الآية مكونة من (التاء+ الباء+ الدال + الضمير المتصل واو الجماعة)، فالتاء تخرج من طرف اللسان والثنايا العليا، وهي مشتركة في مخرجها مع عدة أحرف جعلت العلماء يقسمونها إلى مجموعات، والذي يميز كل حرف منها هو الصفة المميزة له عن غيره، فقد ذكر الخليل" الطاء، والدال، والتاء، وجعلهما في حيز واحد وهي نطعية؛ لأن مبدأها من نطع الغار، وفي رواية

(١) محمد محمد أبو موسى، "ثلاثة من كرامنا يتحدثون إلينا – الجاحظ– أبو هلال – ابن الأثير"، (ط١، القاهرة: مكتبة وهبة، ٢٠٢٥م).

الأخفش ثم الطاء، والدال، والتاء، من طرف اللسان، وأطراف الثانايا"[١].

ويرى إبراهيم أنيس أن الصفة التي تجمع بين هذه الأصوات هي الشدة، فعند النطق بها ينحبس الهواء عند المخرج، فإذا انفصل العضوان المكونان للصوت سمع ما يشبه الانفجار [٢].

أما الباء فهي من الحروف الشفوية كما قال الخليل: "مخرجها من بين الشَّفَتيْن خاصة، لا تعمَلُ الشَّفتان في شَيء، من الحُرُوف الصِّحاح إلَّا في هذه الأحرف الثلاثة فقط"[٣]، ويتكون هذا الصوت باندفاع الهواء وإغلاق الفم والأنف حتى يوقف مجرى الهواء وقفًا تامًّا ليحدث صوتًا انفجاريًّا هو صوت الباء[٤].

ويرى المحدثون أنه صوت "مجهور شديد. يشبه شكله في السريانية صورة البيت. يقول عنه العلايلي: إنه (لبلوغ المعنى، وللقوام الصلب بالتفعل). ويقول عنه الأرسوزي: إنه (يوحي بالانبثاق والظهور). تعريف الأرسوزي أدق، ولكنه قاصر.

وعلى الرغم من بساطة صوت هذا الحرف، فهو متعدد الوظائف والخصائص الصوتية. بعضها إيمائي تمثيليّ، وبعضها الآخر إيحائي"[٥].

أما الدال فيشترك في مخرجه مع التاء –كما سبق– "وهو صوت شديد مجهور، يتكون بأن يندفع الهواء مارًّا بالحنجرة فيحرك الوترين الصوتيين، ثم يأخذ مجراه في الحلق والفم حتى يصل إلى مخرج الصوت فينحبس هناك فترة قصيرة جدًّا لالتقاء طرف

(١) أحمد محمد قدور، "مبادئ اللسانيات"، (ط٣، دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٨م): ٩٧، ٩٨.

(٢) ينظر: إبراهيم أنيس، "الأصوات اللغوية"، (ط٥، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٥م): ٤٨.

(٣) الفراهيدي، "كتاب العين"، ١: ٥١.

(٤) ينظر: محمود السعران، "علم اللغة مقدمة للقارئ العربي"، (ط٢، دار الفكر العربي، ١٩٩٧م): ١١٨، ١٦٦.

(٥) حسن عباس، "خصائص الحروف العربية ومعانيها"، (د.ط، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٨م): ٩٩.

اللسان بأصول الثنايا التقاء محكما، فإذا انفصل اللسان عن أصول الثنايا سمع صوت انفجاري نسميه الدال"[١].

يتضح لنا من خلال ذلك: أن هذه الأحرف الثلاثة تتصف بالشدة، وهو ما يحدث التناغم بين أصوات الكلمة، ويتصف الباء بأنه انفجاري يوحي بشدة الفعل وظهوره، والحث عليه. وأصل لفظة (بدا) (بدو)؛ إذ الألف منقلبة عن الواو وهي أصل يدل على الظهور، يقول ابن فارس: " الباء والدال والواو أصل واحد، وهو ظهور الشيء. يقال: بدا الشيء يبدو: إذا ظهر، فهو بادٍ"[٢].

وللبحث عن سر اختيار هذه اللفظة وفضلها على كلمة (تُظهروا) التي تتناسب مع الظهور نجد أن الكلمة الأولى جاءت بنيتها سهلة متناغمة مع الأصوات ومخارج الحروف فيها، حتى غدت لينة سهلة في التلاوة، كما أنها تشير إلى أن الإخفاء أولى بما تحمله من ذلك، وتوحي أيضًا بالحث على الإنفاق من خلال الحروف الدالة على الشدة؛ أما (تظهروا) ففيها تباعد في المخارج يظهر عدم التناغم بين حروفها، ولذا عدل القرآن عنها إلى لفظة (تبدوا).

– **ولفظة {ٱلصَّدَقَٰتِ}** في الآية السابقة تتكون من (الصاد + الدال + القاف)، ومخرج الصاد من طرف اللسان وفويق الثنايا[٣]، وهو من الحروف الصفيرية التي لها وقع في السمع ندي، "ولقد منحته هذه الخصائص الصوتية شخصية فذة طغى بها على معاني معظم الحروف في الألفاظ التي تصدرها، ليعطيها من نقاء صوته صفاء صورة وزكاء معنى، ومن صلابته شدة وقوة فاعلية، ومن طبيعته الصفيرية مادة صوتية

(١) أنيس، "الأصوات اللغوية": ٤٨.

(٢) أحمد بن فارس بن زكرياء، "مقاييس اللغة". تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (د.ط، دار الفكر، ١٩٧٩م)، ١: ٢١٢.

(٣) قدور، "مبادئ اللسانيات": ١٠٣.

نقية"(١).

أما الدال فيشترك في مخرجه مع التاء كما تقدم بيانه"(٢).

أما القاف فهي قرينة الكاف، وقد وصفها القدماء بأنها صوت مجهور، تخرج " من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك"(٣)، والصاد صوت مهموس من حروف الصفير والاستعلاء، والدال صوت شديد مجهور، والمجاورة بين الأصوات الشديدة والمجهورة أعطت الكلمة خفة في النطق، وتناغمًا في الأصوات عبر الصفير الذي يخفف من حدة الصوت، والجذر اللغوي يدل على الوضوح والبيان، صدقه يصدقه صدقًا، وسميت الصدقات بذلك؛ لأنها دليل على صدق إيمان صاحبها، وعدول القرآن عن المفرد (الصدقة) إلى الجمع يوحي بالكثرة والمداومة على فعلها.

– **وجاءت لفظة ﴿فَنِعِمَّا﴾** حروفها مكونة من: (الفاء+ النون+ العين+ الميم+ الميم+ الألف).

والفاء هنا ليست من أصول الكلمة، وإنما دخلت عليها والتصقت بها، وهو حرف شفوي يخرج من "بطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا"(٤).

أما النون فتخرج من ذلق اللسان، وتشترك مع اللام والراء في المخرج "وأما وجه الشبه بين هذه الأحرف فهو أنها مع قرب مخارجها تشترك في نسبة وضوحها الصوتي، وأنها من أوضح الأصوات الساكنة في السمع، وهي ليست شديدة أي لا يسمع معها

(١) عباس، "خصائص الحروف ومعانيها": ١٤٩.

(٢) ينظر البحث: ١٦

(٣) عثمان بن سعيد، أبو عمرو الداني، "التحديد في الإتقان والتجويد"، تحقيق: غانم قدوري حمد. (ط١، بغداد: مكتبة دار الأنبار، ١٩٨٨م): ١٠٤.

(٤) رمضان عبد التواب، "المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي"، (ط٣، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٩٧م): ٣٢.

انفجار، وليست رخوة فلا يكاد يسمع لها ذلك الحفيف الذي تتميز به الأصوات الرخوة، ولذلك عدَّها القدماء من الأصوات المتوسطة بين الشدة والرخاوة"[١].

وأما العين فهو حرف حلقي يخرج من وسط الحلق، ويشترك معه الحاء في مخرجه، وهو صوت مجهور متوسط بين الرخاوة والشدة، من الأصوات المستعلية فينتج عنه تفخيم الحرف [٢].

وأما الميم، فهو حرف شفوي يشترك مع غيره في المخرج، يقول سيبويه: "ومما بين الشفتين مخرج الباء، والميم، والواو"[٣]، ويلاحظ أن انطباق الشفتين مع الميم أقل من انطباقها مع الباء، ولذا جاء الإدغام في هذا الحرف وهو ميم ساكنة بعد الميم المتحركة يجعل الشفتين أكثر انطباقا ويعطي جرسًا موسيقيًّا جماليًّا للمتلقي.

وهذه الأصوات التي اجتمعت في كلمة ﴿فَنِعِمَّا﴾ زادت من جمالها وحسن موقعها في السمع، وأوحت بالمعنى وهو جمال الفعل الذي هو الصدقة في العلن، وهذه اللفظة مكونة من (نعم) التي وضعت للمدح و(ما)، ثم أدغمت إحدى الميمين في الأخرى، وقد اعترض بعض النحاة على ذلك بدعوى أن هذا الإدغام يؤدي إلى الجمع بين ساكنين، وهو غير جائز إلا أن يكون الحرفَ الأوَّلَ مدٌّ أو لينٌ [٤].

و(نِعم) فيها ثلاث لغات (نِعْمَ، نَعِمَ، ونِعِمَ) بفتح النون وكسرها، وكسر العين

(١) أنيس، "الأصوات اللغوية": ٦٣، ٦٤.

(٢) صفوت محمود سالم، "فتح رب البرية شرح المقدمة الجزرية في علم التجويد"، (ط٢، جدة: دار نور المكتبات، ١٤٢٤هـ)، ١: ٤١.

(٣) عمرو بن عثمان سيبويه، "الكتاب". تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (ط٣، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٨٨م)، ٤: ٤٣٣.

(٤) محمد بن عمر الرازي، "مفاتيح الغيب"، (ط٣، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ)، ٧: ٦١. وقد يرده ما ورد عن العرب في الشعر وسعة الكلام.

وسكونها، وقد قرئ بهذه اللغات جميعها، وجاءت شواهد من الشعر والنثر على هذه اللغات؛ فقرأ ابن كثير ونافع برواية ورش وعاصم في رواية حفص ﴿فَنِعِمَّا﴾ بكسر النون والعين، فأخذت العين حركة النون المجاورة لها ليسير اللسان على وتيرة واحدة؛ وذلك للتخفيف، وهي لغة هذيل كما نسبها إليهم سيبويه [١].

أما باقي القراء فقرأوا ﴿فَنِعِمَّا﴾ بفتح النون وكسر العين، وفيه أيضا أخذت النون حركة الحرف المجاور السابق لها، "ومن قرأ بهذه القراءة، فقد أتى بهذه الكلمة على أصلها وهي (نَعِم) قال طرفة: نَعِمَ السَّاعون فِي الأَمْرِ المبِرّ"[٢]، وفي "اللسان": "جاؤوا بِهِ عَلَى الأَصل وَلَمْ يَكْثُرِ اسْتِعْمَالُهُ عَلَيْهِ"[٣].

أما (ما) فأوّلَها الزجاج بمعنى شيء، أي نعم الشيء هو، و(ما) عنده نكرة[٤]، "والدليل على أن ما نكرة ههنا أنها لو كانت معرفة فلا بد لها من الصلة، وليس هاهنا ما يوصل به؛ لأن الموجود بعد ما هو هي، وكلمة (هي) مفردة والمفرد لا يكون صلة لـ(ما) وإذا بطل هذا القول فنقول: (ما) نصب على التمييز، والتقدير: نعم شيئا هي إبداء الصدقات، فحذف المضاف لدلالة الكلام عليه"[٥].

والدلالة هنا تفيد أن الأمر بالإخفاء أفضل في حالي الزكاة وصدقة التطوع على السواء، "قال ابن عباس: هذا في صدقة التطوع؛ فأما الفرض فإظهاره أفضل؛ لئلا

(١) سيبويه، "الكتاب"،٣: ٣٤٠.

(٢) المرجع السابق، ٧: ٦٢. والبيت منسوب لطرفة بن العبد في "الخزانة"، ٩: ٣٧٦، و"أمالي ابن الشجري"، ٢: ٢٦٤.

(٣) ابن منظور، "لسان العرب"، ١٢: ٥٨٧.

(٤) إبراهيم بن السري الزجاج، "معاني القرآن وإعرابه". تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، (ط١، بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٨م)، ١: ١٧٣.

(٥) الرازي، "مفاتيح الغيب"، ٧: ٦٢.

يُتّهم، وقال الحسن وقتادة: إخفاء جميعه أفضل"[١].

– **ولفظة:** ﴿تُخْفُوهَا﴾: تتكون هذه اللفظة من (الخاء+ الفاء+ حرف اللين) إضافة إلى الملصقات الداخلة عليها وهي (التاء+ الها+ الألف اللينة).

أما الخاء فهو صوت حلقي يخرج من أدنى الحلق، "وتشترك الخاء مع الغين في كل شيء، غير أن الغين صوت مجهور نظيره المهموس هو الخاء، وكل منهما صوت رخو"[٢].

والفاء – قد سبق الكلام عليه – وهو صوت شفوي، والواو منقلبة عن الياء؛ لأن (خفا) أصلها: خفي، يقال: "خفي الشيء يخفى ; وأخفيته، وهو في خفية وخفاء، إذا سترته"[٣]، وأما اللواصق فتقدم الحديث عنها.

وقد تناغمت هذه اللفظة في أصواتها بما حوته من أصوات اللين والأصوات الشفوية وتجاور الشدة مع الرخاوة، مما جعلها سهلة سلسة على اللسان، واللفظة تحمل في أصلها اللغوي تضاد المعنى؛ فهي تعني الستر والخفاء، كما تعني الظهور والإبداء، وهذا ما يفسر اختلاف المفسرين في أفضلية إخفاء الصدقة وإظهارها، وتوسط بعضهم في جعل الإخفاء خاصاً بالتطوع، والإبداء خاصاً بالفرض، ونرى من خلال الدراسة الصوتية الدالة على اليسر والسهولة أنها توجه إلى الإخفاء في الحالين؛ ولذا أتبعها بقوله: {فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ} و(خير) هنا بمعنى (أخير) من أفعل التفضيل، فالظواهر كلها تفيد بأن إخفاء الصدقة في الحالين أولى من إظهارها؛ لكن يحمل الإظهار على الجواز؛ لصراحة الآية في ذلك، ويحمل الإخفاء على الاستحباب، إلا

(١) الحسين بن محمد الأصفهاني، "تفسير الراغب الأصفهاني". تحقيق: محمد عبد العزيز بسيوني، (ط١، مصر: كلية الآداب– جامعة طنطا، ١٩٩٩م)، ١: ٥٦٩.

(٢) أنيس، "الأصوات اللغوية": ٨٨.

(٣) ابن فارس، "مقاييس اللغة"، ٢: ٢٠٢.

أن يحتف بالإظهار معنى خارجي كالدعوة إلى الصدقة بالفعل ممن يُقتدى به؛ فيصدق عليه أنه ممن سنّ سنّة حسنة كما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم في سياق حثه على الصدقة للقوم الذين جاؤوه حفاةً عراةً مجتابي النمار عامّتهم بل كلّهم من مضر؛ فلمّا رآهم قام فخطب وحث الناس على الصدقة؛ فقام رجلان فتصدقا بالدينار والدرهم؛ فتتابع الناس على ذلك؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من سَنَّ في الإسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَن عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِن غيرِ أَنْ يَنْقُصَ مِن أُجُورِهِمْ شَيءٌ) الحديث[1].

وقد يكون الإظهار لغرض صحيح غير ذلك؛ كأن يكون لقصد دفع إساءة الظن، أو نحو ذلك[2].

والمقصود أن استحباب الإظهار في هذه الحال يُستخرج من معنى خارج النص، لا من الدلالة الصوتية الدالة على أصل الفعل وأصل الحكم.

قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾﴾ [سورة البقرة:٢٧٣].

– **لفظة:** ﴿أُحْصِرُوا﴾ [سورة البقرة:٢٧٣] تتكون أصولها من (الحاء+ الصاد+ الراء)، ودخل عليها لواصق سابقة ولاحقة وهي (الهمزة + ضمير الجمع)، أما الحاء فمخرجها من وسط الحلق وهو "صوت مهموس يناظر العين، فمخرجهما واحد

(١) أخرجه مسلم، برقم (١٠١٧).

(٢) قال الزجاج: "كان إخفاء الزكاة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن، فأما اليوم فالناس مسيئو الظن فإظهارها أفضل". وسيأتي في المبحث الثاني من البحث.

إلا أن الحاء صوت مهموس والعين مجهور"[١].

وأما الصاد فيخرج من طرف اللسان وفويق الثنايا[٢]، وهو صوت مهموس من حروف الاستعلاء وهو من حروف الصفير أيضًا.

والراء تخرج من مخرج طرف اللسان وتشترك مع اللام والنون، فهي "من طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا العليا، غير أنه أدخل من النون في ظهر اللسان لانحرافه إلى اللام"[٣].

وكلمة (حصر) ببنيتها الثلاثية تدل في أصل وضعها اللغوي على الحبس والمنع[٤]، فالمادة اللغوية توحي بالحبس والمنع إما طواعية أو إكراها؛ لأن اللغويين أوردوا (حَصَرَ) و(أُحْصِرَ) بمعنى واحد، قال ابن سيده: "والحُصُرُ: احتباس الْبَطن. وَقد حُصِرَ غائطه وأُحْصِرَ"[٥]؛ ولذا دار التأويل في هذه المفردة القرآنية حول الفقراء الذين حبسوا أنفسهم على طاعة الله، ولم يكن لهم شيء، أو أحصرهم المرض أي حبسهم، سواء كانوا زمنى أو أصابتهم جراحات في الجهاد مع النبي ﷺ أو حبسهم الغزو في سبيل الله.

وللبحث عن سر العدول عن لفظ (حُصروا) إلى ﴿أُحْصِرُواْ﴾ – وإن كان

(١) أنيس، "الأصوات اللغوية": ٨٨.

(٢) قدور، "مبادئ اللسانيات": ١٠٣.

(٣) أبو عمرو الداني، "التحديد في الإتقان والتجويد": ١٠٥.

(٤) ابن فارس، "مقاييس اللغة"، ٢: ٧٢.

(٥) علي بن إسماعيل ابن سيده، "المحكم والمحيط الأعظم". تحقيق عبد الحميد هنداوي، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م)، ٣: ١٤٤.

أهل اللغة لا يفرقون بين المعنيين – يمكن أن يقال: إنه لا بد من زيادة في المعنى حين يزيد مبنى الصوت؛ فالمعنى بهذا التشكيل الصوتي للحروف والحركات يدل على أنهم محبوسون عن السؤال كرهًا منهم، إما لعرض ظاهر كما ذكر المفسرون، وإما لشيء باطني لم يتنبه له كل أحد لكن أفاده السياق القرآني وهو رفعة أخلاقهم التي جعلت نفوسهم عزيزة فلا يذلون أنفسهم بالسؤال؛ ولذا حسن إتباع ذلك بقوله تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [سورة البقرة:٢٧٣].

– **ولفظة:** ﴿ٱلتَّعَفُّفِ﴾ تتكون من (التاء + الفاء + الفاء + الفاء)، أما التاء فقد مر ذكرها، وهي تخرج من طرف اللسان مع الثنايا العليا، وهي حرف شديد عند النطق به، وأما الفاء فهو من الحروف الشفوية، وتخرج الفاء " من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا"(١)، وهو من الحروف الرخوة الذي يجري فيه الصوت، وقد تكرر ثلاث مرات في الكلمة، وهو يوحي بشدة ما هم فيه من الفقر والحاجة ودوام ذلك الأمر عليهم وهذا ما يوحي به استطالة الصوت وجريان الهواء في حرف الفاء.

– **ولفظة** ﴿إِلْحَافًا﴾: تتكون من (الهمزة + اللام + الحاء + الفاء)، أما الهمزة فحرف حلقي يخرج من أقصى الحلق، وهو صوت "شديد لا هو بالمجهور ولا بالمهموس؛ لأن فتحة المزمار تغلق معها إغلاقًا تامًّا، فلا تسمح لهذا ذبذبة الوترين الصوتيين، ولا يسمح للهواء بالمرور إلى الحلق إلا حين تنفرج فتحة المزمار ذلك

(١) أبو عمرو الداني، "التحديد في الإتقان والتجويد": ١٠٥.

الانفراج الفجائي الذي ينتج الهمزة"[١].

ولذا ناسب هذا الحرف في شدته وصعوبة نطقه أن يتبعه حرف لين سهل في نطقه وهو اللام، فاللام من الحروف الذلقية نسبة إلى مخرجه من ذلق اللسان، وهي صفة تكسب الكلام سهولة في النطق، وهذا الحرف من أكثر الحروف تداولا في الكلام العربي، وتساعد في التلاؤم الصوتي بين المفردات والتراكيب، ويخرج هذا الصوت "بأن يتصل طرف اللسان باللثة ويرتفع الطبق، فيسد المجرى الأنفي، عن طريق اتصاله بالجدار الخلفي للحلق، هذا مع حدوث ذبذبة في الأوتار الصوتية"[٢].

وبقية الحروف قد تقدم ذكرها سابقًا، وقد تضافرت كلها للمساعدة في فهم المعنى من اللفظة وتقريبه؛ إذ إن السؤال المجحف فيه أذية للناس مع عدم حاجة الشخص، في حين أن المحتاج لا يفعل ذلك.

ومعنى الإلحاف: الإلحاح واللجاج[٣]، وهو مأخوذ في الأصل من الشملة التي يلتحف بها الشخص؛ فكأن الشخص الذي يسأل الناس ويلح عليهم وهو غير محتاج يأخذ أموالهم فيلتحفها؛ فهي زائدة عن حاجته؛ أما هؤلاء الفقراء المحتاجون فلا يفعلون ذلك وليس عندهم ما يسدون به الرمق فضلاً عن الالتحاف به، وقد عدل بلفظة (إلحافًا) عن لفظ (إلحاحًا)؛ للتعريض بمن يسألون الناس وهم غير محتاجين، في

(١) أنيس، "الأصوات اللغوية": ٩٠.

(٢) عبد التواب، "المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي": ٤٧.

(٣) الحسين بن مسعود البغوي، "معالم التنزيل في تفسير القرآن"، تحقيق: محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، (ط٤، الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٩٩٧م)، ١: ٣٣٨.

حين أن هناك من لا يسأل وهو مستحق للنفقة عليه؛ ولذا حثَّ القرآن على البحث عنهم وإعطائهم، وهو من دلالة الاختيار والتخيير التي يبحثها البلاغيون.

۞ **قوله تعالى:** ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾﴾ [سورة البقرة:٢٧٥-٢٧٨].

– **لفظة** {ٱلرِّبَوٰاْ} تتكون من (الراء + الباء + حرف اللين)، وهذه الأحرف قد سبق الحديث عنها، فالراء تخرج من مخرج طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا العليا، ويتصف بالشدة، والتكرير، يقول سيبويه: " والراء إذا تكلمت بها خرجت كأنها مضاعفة"(١)، وهذا ما يتناسب مع فعل الربا، فإن الصوت اللغوي يوحي بشدة الفعل من الآخذ للربا، وشدة وطأته على المدين، وتكرار الزيادة مرة بعد مرة حين التأجيل، أما الباء وحرف اللين فيدلان على سهولة الربح للمقرِض، وبهذا يكون الربا سهلاً على صاحب المال غزير الربح دون جهد منه، ويسبب المشقة والعنت على المدين.

وقد جاء في الحديث أيضاً تسميته (الرَّمَا)؛ قال صلى الله عليه وسلم (لَا

(١) سيبويه، "الكتاب"، ٤: ١٣٦.

تَبيعُوا الدِّرهمَ بِالدَّرهَمينِ فإنّي أخافُ عَليكم الرّمَا)[١]. وقد تكون هذه اللفظة مما يعرفه العرب قبل شيوع الاسم الشرعي الذي هو الربا، وإن كان الاسم الشرعي (الربا) مبنياً على كلام العرب أنفسهم بلفظه ومعناه؛ فقد كان الرجل يكون له الدَّينُ على صاحبه، فيقول لصاحبه إذا حلّ الأجل "إما أن تقضي وإما أن تربي، فإن وفاه وإلا زاد"[٢]، وهو كذلك مبني على معنى الزيادة في لغة العرب، ثم نقل إلى المعنى الشرعي كما انتقلت سائر الألفاظ الشرعية الأخرى، مثل: الصلاة والزكاة والصيام وغيرها، التي انتقلت من معانيها اللغوية إلى معانيها الشرعية، محتفظةً بأصل المعنى اللغوي الذي لا تنفك عنه.

۞ **قوله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ...﴾ [سورة البقرة:٢٧٧].

– **لفظة** {ٱلزَّكَوٰةَ} تتكون من (الزاي + الكاف + الحرف المعتل)، فالزاي من حروف الصفير، وهو حرف لثوي "وهو صوت رخو مجهور يناظر صوت السين غير أنه مجهور، وعند النطق به يندفع الهواء من الرئتين مارًّا بالحنجرة فيحرك الوترين الصوتيين ثم يتخذ مجراه من الحلق والفم حتى يصل إلى المخرج وهو التقاء أول اللسان بالثنايا السفلى أو العليا"[٣].

والكاف صوت يخرج من أقصى الحنك، وهو "صوت شديد، يتكون باندفاع

(١) أخرجه أحمد في مسنده، برقم (٥٨٨٥).

(٢) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، "تفسير القرآن العظيم"، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ)، ١: ٤٠٥.

(٣) أنيس، "الأصوات اللغوية": ٧٦.

الهواء من الرئتين مارًّا بالحنجرة فلا يحرك الوترين الصوتيين، ثم يتخذ مجراه في الحلق أولًا، فإذا وصل إلى أقصى الفم قرب اللهاة انحبس الهواء انحباسًا كاملًا، لاتصال أقصى اللسان بأقصى الحنك الأعلى فلا يسمح بمرور الهواء، فإذا انفصل العضوان انفصالًا مفاجئًا انبعث الهواء إلى خارج الفم محدثًا صوتًا انفجاريًّا هو صوت الكاف"(١).

أما حرف العلة فمنقلب عن الواو وأصله (زكا يزكو) قلبت الواو ألفا؛ لتطرفها، وهو تطور صوتي حدث لهذا الاسم، ويرى الخليل أن أصلها ياء متطرفة "زَكّى يُزَكّي تزكيةً... زكو: الزَّكَوات: جمع الزّكاة"(٢)، ويرى الدكتور أنيس أن الاختلاف هنا في مثل هذه المفردات يعود إلى أن البدو يحبون النبر، فيقفون على آخر الكلمة بالهمزة لشدتها وقوة وقعها على السمع، فيقولون: الزكاء، أما أهل الحضر فيميلون إلى الخفة فيقولون: الزكاة.

وأيًّا ما كان الأمر فإن الجذر اللغوي للكلمة يدل على النماء والزيادة، هذه الزيادة إما أن تعود على صاحب المال بنماء ماله وزيادته، وإما أن تعود على الثواب المترتب عليه في الآخرة، وإما أن تعود على الفقير فتزيد ماله وتنمي حاله، ويصلح أن تكون تلك المعاني كلها مجتمعة ولا تتعارض.

ويلاحظ أن الربا أيضاً يدل على الزيادة كما تقدم؛ لكن زيادته للآخذ وقد منعها الشرع دفعاً للظلم والجشع، وأما الزكاة فزيادتها للمعطي وأمر بها الشرع بركةً له وحثاً على مبدأ العطاء التكافلي.

(١) أنيس، "الأصوات اللغوية": ٨٣، ٨٤.

(٢) الفراهيدي: الخليل بن أحمد،"كتاب العين"، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي (ط١، القاهرة: دار ومكتبة الهلال، ١٩٩٨م)، ٥: ٣٩٤.

المبحث الثاني: التجاور التركيبي

قرّر البلاغيون المتقدمون أهمية التركيب وما ينتج عنه من دلالات متغايرة، وقد أكد عبد القاهر أن دلالة الألفاظ وجمالها لا يظهر إلا من خلال التراكيب فقال: "ينبغي أن ينظر إلى الكلمة قبل دخولها في التأليف، وقبل أن تصير إلى الصورة التي بها يكون الكلم إخبارًا وأمرًا ونهيًا واستخبارًا وتعجبًا، وتؤدي في الجملة معنى من المعاني التي لا سبيل إلى إفادتها إلا بضم كلمة إلى كلمة، وبناء لفظة على لفظة"(١).

وهذا يدلنا على أهمية التراكيب والسياق، وكلمة السياق عبَّر عنها القدماء بفكرة (المقام) و(مطابقة الكلام لمقتضى الحال)، ولها دلالة مهمة في معرفة انزياح التراكيب أو ما يعرف بـ(العدول اللغوي)؛ فإن خروج الكلام على مقتضى الظاهر أو على غير مقتضاه مع مراعاة المقام والحال: قد حدا باللغويين إلى فهم الدلالة التركيبية الناشئة من هذا السياق، وقد أشاد تمام حسان بفكرة البلاغيين، فقال: "ولقد كان البلاغيون عند اعترافهم بفكرة (المقام) متقدمين ألف سنة تقريبًا على زمانهم؛ لأن الاعتراف بفكرتي (المقام والمقال) باعتبارهما أساسين مميزين من أسس تحليل المعنى: يعتبر الآن في الغرب من الكشوف التي جاءت نتيجة لمغامرات العقل المعاصر في دراسة اللغة، وفكرة (المقام) هذه هي المركز الذي يدور حوله علم الدلالة الوصفية في الوقت الحاضر، وهو الأساس الذي ينبني عليه الشق أو الوجه الاجتماعي من وجوه المعنى الثلاثة، وهو الوجه التي تتمثل فيه العلاقات والأحداث والظروف الاجتماعية التي تسود ساعة أداء (المقال)"(٢).

ومن هنا ندرك أن دلالة الألفاظ تختلف عن دلالة التراكيب أو السياق، فدلالة

(١) الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ١: ٤٤.

(٢) تمام حسان، "اللغة العربية معناها ومبناها"، (ط٥، القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٦م): ٣٣٧.

اللفظة تحدد من خلال الدلالة اللغوية أو المعجمية، أما دلالة السياق فتُدرس من خلال علم الدلالة الوصفية الحديث، وثمة فرق بين المعنيين، وهذا ما يؤكده (بيرو جيرو) و (دي سوسير) مع فارق يسير بينهما في تحديد أهمية السياق والمعنى المفهوم منه(١).

والبلاغيون قسموا الجمل إلى قسمين: خبرية، وإنشائية، وهذا التقسيم قائم على مطابقة الكلام للواقع أو عدم المطابقة فهي الجملة الخبرية، أو أن الجملة لا تحتمل ذلك باعتبار منطوقها فهي إنشائية، فالكلام "إما أن يحتمل – لذاته لا لمقتضيات أخرى – أن يقال فيه هو مطابق للواقع أو غير مطابق للواقع، فهو الخبر، وإما ألا يحتمل أن يقال فيه ذلك باعتبار منطوقة، لا باعتبار دلالاته اللزومية، فهو إنشاء"(٢).

والفرق بين الجملة الخبرية والإنشائية هو الفهم الدلالي للجملتين، "فالجملة الخبرية، هي الجملة التي اشتملت على خبر ما، فمضمونها إخبار عن أمر ما، إيجابًا أو سلبًا، والقصد منها الإعلام بأن الحكم الذي اشتملت عليه له واقع خارج العبارة الكلامية مطابق له. أما الجملة الإنشائية فهي الجملة التي لم تشتمل على خبر، وإنما أنشأ النطق بها حدثًا ما، كإنشاء طلب الفعل، فليس القصد من الجملة الإنشائية الإعلام بنسبة حكمية تحققت أو لم تتحقق في الواقع، وإن كان يلزم عقلًا من إيراد الجملة الإنشائية فهم قضايا وجمل خبرية أخرى لا تدل عليها الجملة الإنشائية بمنطوقها دلالة مباشرة، بل تدل عليها باللزوم الذهني"(٣).

(١) ينظر: الطيب جبايلي،" التحليل الأسلوبي في ظل نظرية السياق"، مجلة ياقات اللغة والدراسات البينية، م٥، ع١، ابريل ٢٠٢٠م.

(٢) عبد الرحمن بن حسن حبنكة، "البلاغة العربية"، (ط١، دمشق: دار القلم، ١٩٩٦م)، ١: ١٦٦.

(٣) حبنكة، "البلاغة العربية"، ١: ١٦٦، ١٦٧.

والجمل الإنشـــائية الطلبية أكثر إثارة من الجمل الخبرية ولذا أكثر البلاغيون من الحديث عنها، وهو ما حدا البحث للبدء بها.

الأساليب الإنشائية:

ينقسم الأسلوب الإنشائي إلى قسمين: طلبي، وغير طلبي، ولم يهتم البلاغيون سوى بالقسم الأول، لما ينطوي عليه من معانٍ ويتحمّل من دلالات، وقد جعلوا له أساليب محددة(١)، ومن هذه الأساليب:

١–الأمر:

ويعرف الأمر بأنه: صيغة تستدعى الفعل، أو قول ينبئ عن استدعاء الفعل من جهة الغير على جهة الاستعلاء أو جهة العلو(٢).

وقد جاء الأمر في الآيات التي تتحدث عن الإنفاق والربا، واقترن الأمر فيها بتقوى الله تعالى وترك الربا، زيادة في التنفير منه وإعلامًا بحرمته، يقول تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾ [سورة البقرة:٢٧٨]، فالأمر في الآية جاء للوجوب، فاللفظ أمر معناه الوجوب، ومن تمام التقوى الواجبة ترك الربا المنهي عنه " قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: " تَمَامُ التَّقْوَى أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ الْعَبْدُ حَتَّى يَتَّقِيَهُ فِي مِثْقَالِ ذَرَّةٍ، حَتَّى يَتْرُكَ بَعْضَ مَا يَرَى أَنَّهُ حَلَالٌ، خَشْيَةَ أَنْ يَكُونَ حَرَامًا، يَكُونُ حِجَابًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَرَامِ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ بَيَّنَ لِلْعِبَادِ الَّذِي يُصَيِّرُهُمْ إِلَيْهِ قَالَ اللَّهُ: {فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾} [سورة الزلزلة:٧–٨] فَلَا تَحْقِرَنَّ شَيْئًا مِنَ الشَّرِّ أَنْ تَتَّقِيَهُ،

(١) محمد بن عبد الرحمن القزويني، "الإيضاح في علوم البلاغة"، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، (ط٣، بيروت: دار الجيل، ١٤١٤هـ)، ١: ٥٥.

(٢) يحيى بن حمزة الطالبي، "الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز"، (ط١، بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٣هـ)، ٣: ١٥٥.

وَلَا شَيْئًا مِنَ الْخَيْرِ أَنْ تَفْعَلَهُ"[1]، وهذا أدعى إلى المسارعة لتنفيذ أمره ﷻ بترك الربا والكف عنه، وهو حثٌّ على امتثال أمره في هذا، وقد وردت الآيات الكثيرة التي تبين منزلة أهل التقوى عند الله، وهو ﷻ أهل التقوى وأهل المغفرة، ووردت الأحاديث التي تفيد أن أكثر ما يدخل الناس الجنة هي تقوى الله الكاملة؛ ولذا حسن في هذا الموضع أن يكون الخطاب موجهًا لتعلق القلوب بما عند الله تعالى، والنظر إلى يوم القيامة وما فيه من عواقب، فيتركون الزائل القليل؛ ليشتروا الدائم الكثير.

وقد جاء الأمر في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٨١﴾ [سورة البقرة: ٢٨١]، وقوله: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ١٣١﴾ [سورة آل عمران: ١٣١]، فجاء الأمر في الآيتين مفيداً التهديد، حتى يرتدعوا عن أخذ الربا، وينتهوا عن المعاملة به، والتهديد "يكون باستعمال صيغة الأمر من جانب المتكلم في مقام عدم الرضا منه بقيام المخاطب بفعل ما أمر به تخويفًا وتحذيرًا له، ويسميه ابن فارس: الوعيد"[2]، والتهديد والوعيد يكونان عند رغبة السيد في إنزال العقوبة بعبده المخالف لأمره بعد تحذيره له[3]، والمخاطبون بهذا عرب فصحاء يفهمون دلالة الخطاب ومقاصده؛ وعليه فالخطاب هنا يكون أشد ردعًا، وأكثر زجرًا لهم.

ومثله قوله تعالى: ﴿فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [سورة البقرة: ٢٧٩] فإن

(١) عبد الله ابن المبارك. "الزهد والرقائق". تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي. (د.ط، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، ٢: ١٩.

(٢) عبد العزيز عتيق، "علم المعاني"، (ط١، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٩م: ٨٠، ٨١.

(٣) بسيوني عبد الفتاح فيود، "علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني"، (ط٤، القاهرة: مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ٢٠١٥م): ٣٥٩.

الأمر جاء فيه للتهديد والوعيد الذي لا يقوى عليه أحد من البشـــر، "وروي أنها لما نزلت قالت ثقيف: لا يدىْ لنا بحرب الله ورسوله"(١).

وقولـه تعـالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٣٢﴾ [سـورة آل عمران:١٣٢]، الأمر فيـه للوجوب؛ فـاللفظ أمر ومعنـاه الوجوب، وهو يختلف عن الأمر الأول في زيادة الترغيب هنا بقوله: {لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}، يقول الزمخشـــري: " وقد أمدّ ذلك بما أتبعه من تعليق رجاء المؤمنين لرحمته بتوفرهم على طاعته وطاعة رسـوله. ومن تأمّل هذه الآية وأمثالها لم يحدث نفسـه بالأطماع الفارغة والتمني على الله تعالى، وفي ذكره تعالى «لعلّ» و «عسى» في نحو هذه المواضع– وإن قال الناس ما قالوا– ما لا يخفى على العارف الفطن من دقة مسلك التقوى، وصعوبة إصابة رضا الله، وعزة التوصل إلى رحمته وثوابه"(٢).

ويقول البيضـــاوي: "أتبع الوعيد بالوعد ترهيبًا عن المخالفة وترغيبًا في الطاعة، ولعل وعسى في أمثال ذلك دليل عزة التوصل إلى ما جعل خبرًا له"(٣).

۞ قولـه تعـالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣﴾ [سـورة آل عمران:١٣٣]، جـاء الأمر في قولـه: ﴿وَسَارِعُوٓاْ﴾ خارجاً عن معناه الحقيقي إلى الندب والنصـح؛ إذ النصـيحة لا تكون على وجه الإلزام، وإنما هو حثٌّ على طلب ما رغبهم فيه وهو الجنة التي ذكر صـفتها وعرضـها، "وخص العرض؛ لأنه في العادة أدنى من الطول للمبالغة، ووصـفها بالسـعة

(١) محمود بن عمرو الزمخشري، "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل"، (ط٣، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ)، ١: ٣٢٢.

(٢) الزمخشري، "الكشاف"، ١: ٤١٤.

(٣) عبد الله بن عمر البيضاوي، "أنوار التنزيل وأسرار التأويل"، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي. (ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ)، ٢: ٣٨.

والبسطة، فشبهت بأوسع ما علمه الناس من خلقه وأبسطه"[١].

۞ **قولـه تعـالى:** ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٣٨﴾ [سورة الروم:٣٨]، والأمر في الآية للوجوب؛ لكونه حقاً مستحقاً لذي القربى والمسكين وابن السبيل، وفيه ترغيب لامتثال الأمر؛ لأنه خير للذين يريدون ثواب الله وفضله وهم المفلحون في الدنيا والآخرة.

والآية هنا تحث على الإنفاق والبذل في سبيل الله، وهي تجاور آية الربا التي بعدها، وتخصيص هؤلاء الثلاثة دون غيرهم من الأصناف الثمانية المستحقة للزكاة "؛ لأن المقصود هاهنا الشفقة العامة، وهؤلاء الثلاثة يجب الإحسان إليهم وإن لم يكن للمحسن مال زائد"[٢]، فالقريب يجب على المسلم النفقة عليه، والمسكين الذي لا يجد كامل كفايته هو محتاج ينتظر الزكاة في نهاية الحول، وابن السبيل أدت به الظروف إلى الاحتياج فيجب إعانته، وقد جعل الله ذلك كله تقربًا من المسلم لله حتى يكون من المفلحين في الدنيا والآخرة.

٢-النهي:

من أنواع الأساليب الإنشائية "وهو: طلب الكف عن الفعل أو الامتناع عنه على وجه الاستعلاء أو العلو"[٣].

وقد جاء النهي في قوله تعالى: ﴿لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ﴾ [سورة آل عمران:١٣٠]، والنهي في الآية للتهديد، وهو يأتي عندما يقصد المتكلم تخويفَ من هو دونه قدرًا ومنزلة عاقبةَ القيام بفعلٍ لا يرضى عنه المتكلم[٤]، وقد نهاهم الله

(١) الزمخشري، "الكشاف، ١: ٤١٥.
(٢) الرازي، "مفاتيح الغيب"، (١٠٢/٢٥).
(٣) عتيق، "علم المعاني": ٨٣.
(٤) عتيق، "علم المعاني": ٨٨.

تعالى عن الربا قليله وكثيره، والتضعيف هنا هو ما كانوا يفعلونه من تأخير الوقت وزيادة الدين فنهاهم الله عن ذلك، وأتى بلفظة ﴿مُّضَٰعَفَةً﴾ على سبيل التأكيد، أو جاء على مغايرة المفاهيم وعكس المتوقع؛ فالمتوقع أن يزيد المال بالتأخير، فأتى "بـ(مضاعفة)، من الضَّعْف لا من الضِّعف، ومعناه ما تعدونه ضِعْفا هو ضَعْف، أي: نقص"(١).

٣–النداء:

"هو طلب المتكلم إقبال المخاطب عليه بحرف من حروف النداء يحل الفعل المضارع أنادي –أو أدعو– المنقول من الخبر إلى الإنشاء محله"(٢)، والنداء يتضمن معنى الطلب، "ودلالته عليه دلالة التزامية تضمنية... والغاية منه أن يصغي من تناديه لأمر ذي بال، ولذا غلب أن يلي النداء أمر، أو نهي، أو استفهام، أو إخبار بحكم شرعي"(٣).

وقد نظر البلاغيون إلى تعدد أساليب النداء من جهة استخدام أدوات النداء(٤). من المتكلم، والجانب الآخر وهو المخاطب وما يليق به من الخطاب، وخروج الأسلوب إلى دقائق بلاغية يقف عليها الأديب البارع في استخراج المكنونات، ولذا قسموا أدوات النداء للقريب والبعيد، وجعلوا البلاغة في تنزيل القريب منزلة البعيد والعكس.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾﴾ [سورة البقرة:٢٧٨]، فالنداء هنا جاء بأداة النداء (يا) وهي

(١) الراغب الأصفهاني، "تفسير الراغب الأصفهاني"، ٣: ٨٥١.
(٢) يوسف مسلم أبو العدوس، "مدخل إلى البلاغة العربية"، (ط٣، دار المسيرة، ٢٠١٣م): ٨٤.
(٣) فيود، "علم المعاني": ٤١٠.
(٤) القزويني: "الإيضاح في علوم البلاغة": ٤٤.

تستعمل لنداء البعيد، والمنادى عليهم ليسوا بعيدين من الله تعالى، ولكن الأمر هنا لغرض بلاغي هو التنبيه على عظم المدعو له، مع غفلة المنادَى عن هذا الأمر الذي يحتاج لليقظة والتنبه، وقد أتبع النداء بأمر عظيم هو تقوى الله تعالى وترك الربا.

ولعل إنزال القريب منزلة البعيد في هذا النداء عائد إلى أحد أمرين:

الأول: أن يكون الخطاب موجهاً للذين آمنوا بألسنتهم فقط، فأمرهم أن يتقوا الله بقلوبهم ويتركوا الربا من أعمالهم، ويكون النداء هنا لغفلتهم ودنو منزلتهم، وفيه إغراء لهم وحثهم على إخلاص الإيمان وتصديقه بالعمل بامتثال الأوامر واجتناب النواهي، ومنها أكل الربا.

الثاني: أن يكون الخطاب للمؤمنين المتقين الذين آمنوا بقلوبهم، فأمرهم أن يتقوا الله في أفعالهم بترك الربا، ويكون النداء هنا لرفعة منزلتهم وعلو مكانتهم عند الله[1].

ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٣٠ ﴾ [سورة آل عمران: ١٣٠]، وقد أتبع النداء هنا بالنهي، ثم الأمر، مما يوحي بعظم الأمر المطروح على المخاطبين.

وجاءت الجمل الواقعة بعد النداء من الأمر أو النهي تقوي الأساليب وتوجه المخاطب لفهم المراد من الخطاب؛ إذ السياق هو ما يحدد القيمة البلاغية التي تستنبط من الخطاب.

الأساليب الخبرية:

ينظر البلاغيون إلى الكلام من حيث الإسناد، فالكلام المتصل هو ما يحمل غرض المتكلم ويفهم منه المتلقي المقصدية من الخطاب، وهذا الكلام لا بد وأن يكون مسندًا حتى تكون للكلام فائدة، وتدور دراسة البلاغيين للأساليب الخبرية حول عدة

(١) ينظر: علي بن محمد الماوردي، "النكت والعيون"، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم. (د.ط، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، ١: ٣٥١.

مسائل أوصلها القزويني إلى ثماني مسائل[١]، ولا يستطيع البحث على قصره أن يتعرض لهذه المسائل كلها، وإنما يتعرض لما يتفق مع أغراض البحث، ومنها:

الفصل والوصل:

الفصل والوصل باب عظيم من أبواب البلاغة أطنب في مدحه البلغاء، حتى عدّوه رأس البلاغة وأساسها، يقول العلوي: "هو دقيق المجرى، لطيف المغزى، جليل المقدار، كثير الفوائد، غزير الأسرار، ولقد سئل بعض البلغاء عن ماهية البلاغة، فحدّها بمعرفة الفصل، والوصل، وجعل ما سواه تبعا له، ومفتقرا إليه"[٢].

ويعرفه الخطيب القزويني بقوله: "الوصل عطف بعض الجمل على بعض، والفصل تركه"[٣].

فالوصل هو عطف الجمل على بعض، وخص البلاغيون الجمل التي لا محل لها من الإعراب دون المفردات؛ لأنها يتحقق منها فائدة الكلام ومقصوديته؛ كما تقدم.

وخصوا العطف بـ(الواو)؛ لأنها لمطلق العطف وتفيد إشراك ما بعدها لما قبلها في الحكم، أما ما سواها من أحرف العطف فلها معانٍ زائدة على العطف، وشرطوا لعطف الجمل على بعضها أن يكون بينها جامع يحسن له العطف، كالموافقة، أو التضاد، كما هو متقرر في جل كتب علم البلاغة.

والمتأمل في آيات الربا في المواضع الأربعة المذكورة يجد الوصل فيها ظاهرًا؛ وذلك لاتصال الكلام وتتابعه، وحسن ما بين كل الجمل الموصولة من الموافقة أو التضاد، أو غير ذلك من الدلالة التي تربط المعنى، وهو ما سيتبين مع العرض والتحليل.

(١) القزويني، "الإيضاح في علوم البلاغة"، ١: ٥٥.

(٢) الطراز (٢/٢٠).

(٣) ينظر القزويني، "الإيضاح في علوم البلاغة"، ٣: ٩٧.

۞ **ففي قوله تعالى:** ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾﴾ [سورة البقرة: ٢٧١]، جاءت جملة ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾، موصولة بالعطف على ما قبلها وهي جملة ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ﴾، والوصل هنا أفاد تناسب الجملتين في الإطلاق، والمعنى على هذا أن إظهار الصدقات أو إخفاؤها كلاهما صحيح وإن كان الإخفاء أفضل لدلالة {خَيْرٌ} التي بمعنى التفضيل على ذلك، "قال قتادة: كلاهما وإخفاؤه أفضل. وقال الزجاج: كان إخفاء الزكاة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن، فأما اليوم فالناس مسيئو الظن فإظهارها أفضل. وقال ابن العربي: ليس في تفضيل صدقة السر على العلانية، ولا صدقة العلانية على صدقة السر حديث صحيح"(١).

ووصل جملة ﴿وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ﴾، على جملة {فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ}، والجملتان متحدتان في الخبرية، والسر في الوصل هنا هو دفع التوهم والالتباس، فجاء الوصل بين الجملتين ليؤكد لنا أنَّ إظهار الصدقة أو إخفاءها هو خير في الحالين وسبب لتكفير السيئات، وجاء الاختلاف في أن الجملة الأولى اسمية تفيد الثبوت، والثانية فعلية تفيد التجدد والاستمرار، ولذا حسن الوصل بين الجملتين.

۞ **قوله تعالى:** ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾﴾ [سورة البقرة: ٢٧٢].

جملة {وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} معطوفة على ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ﴾

(١) أبو حيان، "البحر المحيط"، ٢: ٦٨٩.

[سورة البقرة:٢٧٢]، وجاء الوصل بين الجملتين مع اختلاف الجملتين، فالأولى فعلية والثانية المعطوفة اسمية، وإنما وجب الوصل هنا؛ لوجود اشتراك في المسند وهو الهداية، يقول الجرجاني عن الوصل: " وجملة حالها مع التي قبلها حال الاسم يكون غير الذي قبله، إلا أنه يشاركه في حكم، ويدخل معه في معنى... فيكون حقها العطف"(١).

فقد اشتركت الجملتان في الهداية، فكان الإطلاق في أحدهما وهو الهداية المطلقة لله تعالى هداية التوفيق، والتقييد في الأخرى وهي هداية النبي ﷺ لهم هداية الدعوة والبيان، ولذا حسن المجيء بـــ(لكن)، وفيه تسلية للنبي ﷺ حتى لا يحزن على عدم هدايتهم.

وجملة ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ معطوفة على جملة ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ﴾، وإنما حسن الوصل هنا للتناسب في المعنى، فما تنفقوا إلا لأنفسكم وهو خير تقدمونه لها، وتوفون أجره كاملًا، وفيه " قطع عذرهم في عدم الإنفاق"(٢)، وقد اتحدت الجملتان في الخبر والمعنى؛ فحسن الوصل بينهما.

۞ **قوله تعالى:** ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾ [سورة البقرة:٢٧٤].

جاءت جملة {وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } معطوفة على ما قبلها، جاءت الجملتان خبريتين في المعنى، ولكن الأولى اسمية أفادت الثبوت، والثانية فعلية أفادت التجدد والاستمرار، وكأنه نفى عنهم الخوف مطلقًا؛ لأن الخوف أشد من الحزن، ثم جاء بالحزن في صورة المضارع لنفيه عنهم حتى وإن ظنوا أنه يحدث في المستقبل لشيء عارض.

(١) الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ١: ٢٤٣.

(٢) أبو حيان، "البحر المحيط"، ٢: ٦٩٦.

۞ **قوله تعالى:** ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾﴾ [سورة البقرة:٢٧٦].

ففي قوله تعالى: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [سورة البقرة:٢٧٦] عطفت جملة {يُرْبِي} على جملة ﴿يَمْحَقُ﴾، وحسن الوصل هنا للتضاد بين المعنيين، مع تناسب الجملتين في الخبرية، ولو ترك الوصل لتوهم أنه عاد عن محق الربا، ولكنه ﷻ أراد أن يوضح لعباده أنه هو الذي يجازي على الأعمال فينقص الربا شيئًا بعد شيء، ويزيد الصدقات ويبارك فيها وينميها، وهذا فيه حثٌّ على الإنفاق والصدقة وترك الربا.

۞ **قوله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾﴾ [سورة البقرة:٢٧٧].

جاءت جملة {وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ} معطوفة على ما قبلها، وجاء الوصل بين الجمل الثلاث لوجود مناسبة بينهما وهي العمل الصالح، والصلاة والزكاة جزء من العمل الصالح، ولكن حسن العطف والذكر لهما في هذا الموضع لبيان شرفهما وأهميتهما في حياة المسلم، كما أن ذكر الزكاة يتناسب مع التنفير من الربا والحث على الزكاة، والزكاة والصلاة من أصول أعمال الإيمان، أحدهما عمل بدني والآخر عمل مالي.

۞ **قوله تعالى:** ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾ [سورة البقرة:٢٧٩].

وهنا عطفت جملة ﴿وَإِن تُبْتُمْ﴾ على جملة {فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ}، وكذا جملة

{تَظْلِمُونَ} معطوفة على {تَظْلِمُونَ}، وإنما ساغ الوصل في الموضعين للتضاد في المعنى والمغايرة التي تحصل للحال؛ فالأولى إن رفضتم الامتناع عن الربا فاعلموا أنكم تحاربون الله ورسوله، وقد "روي: أنها لما نزلت قالت ثقيف: لا يد لنا بحرب الله ورسوله"(١)، وإن تبتم عن الربا فلكم رؤوس أموالكم؛ فحسن الوصل لتضاد المعنى.

وأما الجملة الثانية فهي أيضًا على التضاد، والمعنى: لكم رؤوس أموالكم "لاَ تَظْلِمُونَ بأخذ الزيادة. وَلا تُظْلَمُونَ بالمطل والنقصان"(٢).

ويدخل في ذلك الآية التي بعدها وهي قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٠]؛ لأنها معطوفة على ما قبلها، وقد حسن الوصل هنا؛ لأن الكلام متتابع والرابط بينهما معنوي وهو (الدَّين)، فإن الحديث عن الربا في الدين يقتضي في أصل أمره أن يكون هناك مدين، وصاحب مال يطالبه، فإن تاب صاحب المال عن أخذ الزيادة الممحوقة وعفا عنها، فمن باب أولى أن يمد الأجل لمن عليه الدين حتى يستطيع السداد، وهذا من مكارم الأخلاق التي دعا لها دين الإسلام.

وقيل: "إن الإنظار بالعسرة واجب في دَيْن الربا خاصّة، قاله ابن عباس، وشريح. والثاني: أنه عام يجب إنظاره بالعسرة في كل دَيْن، لظاهر الآية، وهو قول عطاء، والضحاك، وقيل: إن الإنظار بالعسرة في دَيْن الربا بالنص، وفي غيره من الديون بالقياس"(٣).

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ

(١) البيضاوي، "أنوار التنزيل وأسرار التأويل"، ١: ١٦٣.
(٢) المرجع السابق.
(٣) الماوردي، "النكت والعيون"، ١: ٣٥٣.

لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٣٠-١٣٣].

جاءت الجمل كلها موصولة؛ لأن المعنى متصل فلا يحسن الفصل بينها، وجملتا: {وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾﴾، حسن الوصل بينهما حيث اتفقتا في الإنشائية لفظًا ومعنى، وكذلك ما بعدها من الأمر بطاعة الله والرسول، والمسارعة إلى مغفرته في قوله: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾، فهذه الجمل كلها بينها جامع يربط بينها، وهي متفقة في الأسلوب الإنشائي فوجب الوصل بينها جميعًا.

أما في الآية التالية فقد جاء الفصل فيها لكمال الاتصال، وهي قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [سورة آل عمران:١٣٤]، وقد جاء الفصل هنا؛ لأن الآية بيان لجملة ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [سورة آل عمران:١٣٣] ويكون إعرابها على إضمار أعني[(١)]، والتأويل: المتقون الذين أعدت لهم الجنة الموصوفة هم الذين ينفقون في السراء والضراء، والكاظمين الغيظ، والعافين عن الناس، وهذا بيان وتفصيل.

وللبحث عن سر البداءة بالإنفاق وتقديمه على غيره من صفات المتقين، يجيب الرازي على ذلك بأنه ﷻ بدأ بهذه الصفة؛ لأنها أشق الطاعات، وأشرفها في ذلك الوقت؛ إذ حاجة المسلمين للمال من أجل الجهاد ودفع العدو أشد من غيرها، مع مواساة الفقراء والضعفاء من المسلمين[(٢)].

(١) أحمد بن محمد النحاس، "إعراب القرآن". (ط١، بيروت: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ)، ١: ١٨٠.

(٢) ينظر: الرازي، "مفاتيح الغيب"، ٩: ٣٦٦.

وهذا ما ينير طريق البحث ويسلمنا للسؤال عن سر التجاور بين هذه الآية وآية الربا السابقة؟

والجواب أنّا نجد التجاور بين الآيات بهذا الإتقان قد أظهر صورتين؛ الأولى: صورة الاستغلال السيء، وجشع بعض الناس واستغلالهم لحاجة إخوانهم، وهي الصورة التي ذمها الله تعالى ونهى عنها في قوله: ﴿لَا تَأْكُلُوا الرِّبَوٰا أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً﴾ [سورة آل عمران: ١٣٠].

أما الصورة الثانية: فهي صورة الإنفاق والتراحم في المجتمع وذلك بالحث على البذل والصدقة في مختلف الأحوال في الرخاء والشدة، والسر أو العلن؛ فالمجاورة أوضحت الهدف من تجاور الصورتين وأثرهما على المجتمع، فليست مهمة الفرد المسلم أن يعيش لنفسه، ولكن يتكفل أيضًا بأهل الحاجة ويرعاهم، وهذا هو المجتمع الإيماني الذي من أجله حرَّم الله الربا، وحث على الإنفاق والصدقة والزكاة.

قوله تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾﴾ [سورة النساء: ١٦٠-١٦١].

جاءت الجمل ﴿وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾، معطوفة على الجملة السابقة ﴿وَبِصَدِّهِمْ﴾، وحسن الوصل هنا لتتابع الحديث عن أهل الكتاب وبيان مصيرهم حين استحلوا ما حرم الله عليهم، فكان جزاؤهم أن حرَّم الله عليهم الطيبات التي ذكرها في آيات سابقة، وذلك بسبب صدهم عن دين الله، وأخذهم الربا، وأكلهم أموال الناس بالباطل، والوصل هنا أفادت نكتة بلاغية وهي التنفير من أخذ الربا؛ لأنه قرين الصد عن دين الله أي الكفر –والعياذ بالله–، والجملتين المعطوفتين اتحدا في الخبرية لفظًا ومعنى.

ثم أعقب ذلك بقوله: ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾﴾ [سورة النساء:١٦٢].

وهذه الآية حسن الفصل بينها وبين سابقتها؛ لما فيها من كمال الانقطاع؛ إذ التباين واضح بين المعنيين، فالآيات الأولى تذم الكافرين من أهل الكتاب الذين تعدوا أوامر الله فظلموا أنفسهم واستوجبوا العقاب من الله بتحريم الكثير من الطيبات عليهم، فكان ذلك عقابًا لهم في الدنيا، ثم توعدهم بالعذاب الأليم في الآخرة.

وهذه الآية تبين أن ثمة صنفاً منهم من الراسخين في العلم والمؤمنين، مغايرين لهم في الصفات ومباينين لهم في الإيمان، فحسن الفصل حتى لا يختلط المعنى، والاستدراك بـــ(لكن) جاء مستأنفًا لإزالة الإطلاق السابق على الذين هادوا، ففيهم قلة راسخون أي: ثابتون لم تزغهم الأهواء عن الحق؛ ولذلك آمنوا بالنبي الحق حين جاءهم، وقد ذكر المفسرون أنها فيمن آمن منهم كعبد الله بن سلام وأصحابه.

ومن صفات هؤلاء أنهم راسخون في العلم لبيان فضل العلم وعلو شأنه، يؤمنون بكتابهم، وبما أنزل الله من القرآن العظيم، ويقيمون الصلاة؛ لأنها أفضل العبادة البدنية، ويؤتون الزكاة؛ لأنها أفضل الطاعات المادية، ويؤمنون بالله واليوم الآخر، وهذه الصفات تجاورت مع الصفات المذمومة لكفار أهل الكتاب التي أبرزها الصدُّ عن سبيل الله، وأكل الربا، وأكل أموال الناس بالباطل، وبيان العاقبة للطائفتين يبين سر التجاور، ويدعو للحث على الإنفاق والصدقة.

۞ **قوله تعالى:** ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ [سورة الروم:٣٧]، جاء الوصل بين {يَقْدِر} المعطوفة على {يَبْسُطُ} لقصد إشراكها في الحكم الإعرابي؛ إذ وقعت جملة {يَبْسُطُ} في محل رفع خبر (أنّ)، وجاءت جملة {يَقْدِر} معطوفة عليها، والتقدير: وأنّ الله يقْدِر، والتناسب بين الجملتين أن المسند إليه واحد وهو لفظ

الجلالة، وبين الجملتين تضاد فالبسط مضاد للقَدْرِ وهو التضييق، وسرُّ بلاغة الوصل هنا أن الآية تبين عظمة الخالق في الجمع بين الأضداد، وكمال قدرته وحكمته، ببيان أنه وحده المختص بالأرزاق يقسمها بين عباده كما يشاء، ولذا حسن ختام الآية بقوله: {لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾}.

الحذف:

عدَّ البلاغيون الحذف من مظاهر البلاغة التي يلجأ إليها المخاطِب لإيصال غرضه من الخطاب للمتلقين الذين يفهمون الدلالة الخفية من وراء الخطاب، ويتعلق ذلك الحذف والفهم "بقرائن الحال، أو قرائن المقال، أو باللوازم الفكرية الجلية، أو باللوازم الفكرية الخفية وبالإشارات التي تدرك بالذكاء اللماح، ومن المعلوم أن الأذكياء يكفيهم الإلماح؛ لأنهم يدركون المقاصد باللمح"(١).

وطفق البلاغيون ينهلون من كتاب الله ويبحثون عن لطائف الحذف ودقائقه، وما يُستخرج من معان بلاغية لا تستفاد بالذكر في موضع الحذف، يقول عبد القاهر: "هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن"(٢).

والمتأمل في آيات الإنفاق والربا يجد أن الحذف في هذه الآيات جاء للاتساع، بمعنى أن الحذف أضاف دلالات متعددة لم تكن لتظهر لو ذكر المحذوف، فقوله تعالى: ﴿وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [سورة البقرة: ٢٧١]، على قراءة حفص بإثبات الياء في قوله: {يُكَفِّرُ} حذف المسند إليه للعلم به وهو الله تعالى، والمعنى

(١) حبنكة، "البلاغة العربية"، ١: ٣٢٩.

(٢) الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ١: ١٤٦.

ويكفر الله عنكم، "وقيل: يعود على الصرف، أي صرف الصدقات، ويحتمل أن يعول على الإخفاء أي: ويكفر إخفاء الصدقات، ونسب التكفير إليه على سبيل المجاز؛ لأنه سبب التكفير"(١).

۞ قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ﴾ [سورة البقرة:٢٧٥].

فقوله سبحانه: ﴿**لَا يَقُومُونَ**﴾ حذف متعلقه هنا؛ فأدى لزيادة الدلالات والمعاني؛ فآكلو الربا الذي ينفر الله تعالى منهم بهذه الصورة، لا يقومون إلا كما يقوم من به مس من الشيطان، ولكنه شوق المتلقي لمعرفة زمن قيامه هل هو في الدنيا أو في الآخرة؟ فقال المفسرون: "معناه لا يقومون من قبورهم في البعث يوم القيامة إلا كالمجانين، عقوبة لهم وتمقيتاً عند جمع المحشر، ويكون ذلك سيما لهم يعرفون بها، ويقوي بهذا التأويل قراءة عبد الله: لا يقومون يوم القيامة. وقال بعضهم: يجعل معه شيطان يخنقه كأنه يخبط في المعاملات في الدنيا، فجوزي في الآخرة بمثل فعله"(٢).

وأورد ابن عطية في "تفسيره"، رأيًا لبعض المفسرين يؤيد أن هذا القيام يكون في الدنيا، وهو تفسير يعتمد على فهم الحالة النفسية لآكل الربا وجشعه الشديد وطمعه في جمع المال، يقول: " قال القاضي أبو محمد: وأما ألفاظ الآية فكانت تحتمل تشبيه حال القائم بحرص وجشع إلى تجارة الربا بقيام المجنون؛ لأن الطمع والرغبة تستفزه حتى تضطرب أعضاؤه، وهذا كما تقول لمسرع في مشيه، مخلط في هيئة حركاته، إما من فزع أو غيره، قد جن هذا، وقد شبه الأعشى ناقته في نشاطها بالجنون في قوله:

(١) أبو حيان، "البحر المحيط" ،٢: ٦٩٢.

(٢) محمد بن سليمان ابن النقيب، "التحرير والتحبير لأقوال أئمة التفسير في معاني كلام السميع البصير"، (ط١، د.ن، د.ت)، ٢: ٧٠٥.

وتصـــبح من غبّ السّـــرى وكأنّما ألم بهـا من طـائف الجنّ أولق"[١]

فالحذف هنا جعل الدلالة أوسع في الفهم، وجعل احتمال القيام في الزمنين قائماً.

قولـه تعـالى: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [سـورة البقرة:٢٧٦]، فيـه حذف يدل على ما يسمى بحبك النص، وذلك بالتقابل والتجاور بين الربا والصدقات مع الحذف، والتقدير: يمحق الله الربا ويعاقب عليه فاعله، ويربي الصـــدقات ويبارك لصاحبها ويزيد ثوابه.

القصر:

القصر لغة: "التخصيص، يقال: قصر الشيء على كذا، إذا خصصه به.

واصـطلاحًا: تخصـيص شـيء بشـيء بعبارة كلامية تدل عليه، أو: جعل شـيء مقصورا على شيء آخر بواحد من طرق مخصوصة من طرق القول المفيد للقصر"[٢].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾ [سـورة البقرة:٢٧٢]، والقصر هنا هو قصر صفة (الإنفاق) على موصوف هو (الله)، وأداته النفي والاستثناء.

وفي الآية اختصـــاص؛ لأن ذكر الوجه يرفع الإيهام أنه له ولغيره، فالإضـــافة محققة لإزالة إيهام الشركة، وأن الإنفاق يكون لله وحده.

وفيه أيضًـــا أن ذكر الوجه أبلغ من حذفه؛ لأنك "إذا قلت: فعلته لوجه زيد. كان أشرف في الذكر من: فعلته له؛ لأن وجه الشيء في الأصل أشرف ما فيه، ثم كثر حتى صار يدل على أشرف الذكر من غير تحقيق وجه"[٣].

(١) عبد الحق بن غالب ابن عطية، "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز". تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ)، ١: ٣٧٢.

(٢) حبنكة، "البلاغة العربية"، ١: ٥٢٣.

(٣) علي بن أحمد الواحدي، "الوسيط في تفسير القرآن المجيد". تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٤م)، ١: ٣٨٨.

وقوله تعالى إخباراً عنهم أنهم قالوا: ﴿إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [سورة البقرة:٢٧٥]، والقصر هنا قصر إضافي وأداته (إنما)، وفي تقديم الربا على البيع نكت بلاغية ذكرها المفسرون، منها:

– **المبالغة**، وفيه أنهم قصدوا إلحاق الربا بالبيع، واختلط ذلك في أذهانهم بسبب أن التجارة فيها ربح، والربا أيضًا فيه ربح، فأرادوا المبالغة بقولهم هذا.

يقول الزمخشري: " فإن قلت: هلا قيل: إنما الربا مثل البيع؛ لأنّ الكلام في الربا لا في البيع، فوجب أن يقال: إنهم شبهوا الربا بالبيع فاستحلوه... قد بلغ من اعتقادهم في حل الربا أنهم جعلوه أصلًا وقانونًا في الحل حتى شبهوا به البيع"(١)، ويفهم من هذا أن التشبيه هنا مقلوب.

– ومنها: **التعريض**: حيث جعلوا الإسلام في تحريمه الربا أصلًا، واستخدموا قياس العكس؛ فلماذا أحل الإسلام البيع مع ما فيه من ربح، وحرَّم الربا؟ وهو أسلوب يوحي بالتهكم لسوء فهم صاحبه واختلاط العواقب في ذهنه، فهم لا ينظرون إلا إلى صورة الربح فقط، ولا ينظرون إلى ما يسببه الربا من عواقب وخيمة على الفرد والمجتمع(٢).

۞ **وقوله تعالى:** ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [سورة الروم:٣٩]، ذكر الضمير المنفصل (هم) أفاد القصر الادعائي، والغرض منه المبالغة في عدم اعتداد الإضعاف للمال أو الثواب لغير هؤلاء الذين يؤتون الزكاة يريدون بها وجه الله.

وأفادت الآية عبر المجاورة السياقية المقارنة بين حال المرابين وحال المؤدين للزكاة

(١) الزمخشري، "الكشاف"، ١: ٣٢٠، ٣٢١.

(٢) ابن النقيب، "التحرير والتحبير"، ٣: ٨٣.

وذلك في قوله: ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [سورة الروم:٣٩]، فالمجاورة أظهرت المعنى وبينته، سواء قيل بأن الربا في الآية على المعنى اللغوي أم على المعنى الشرعي؛ فالزيادتان متغايرتان في معناهما كما تقدم.

۞ وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ ﴾ [سورة البقرة:٢٧٤]، نجد تقديم الليل على النهار، والسر على العلانية يدل على تلك الأفضلية، والليل مظنة صدقة السر، فقدم الوقت الذي كانت الصدقة فيه أفضل، والحال التي كانت فيها أفضل"[(١)].

(١) المرجع السابق، ٤٢: ٧٠١.

المبحث الثالث: التناسب وعلاقة الآيات بعضها ببعض

أدرك فصحاء العرب وبلغاؤهم تناسب القرآن الكريم منذ أمد طويل، ومما يدل على ذلك قول الوليد بن المغيرة بعد سماعه القرآن الكريم من الرسول صلى الله عليه وسلم: "والله إن لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمرٌ أعلاه، مغدقٌ أسفله، وإنه ليعلو وما يُعلى، وإنه ليُحطّم فاتحته..." (١).

ومن ذلك استدلال أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على قتال مانعي الزكاة بسبب اقترانها بالصلاة في كتاب الله تعالى(٢)، وهذا وجه من أوجه التجاور والتناسب في الذكر الحكيم.

وقول عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إذا سأل أحدُكم صاحبَه كيف يقرأُ آيةَ كذا وكذا؛ فليسأل عمّا قبلها»(٣).

وفي هذه الأخبار دلالة واضحة على أثر التناسب في إحكام الأسلوب وبلاغته، وبيان معانيه ومكنوناته، وفي سلاسته وترابطه، واستيلائه على الألباب، وتأثيره في النفوس، وأنه مظهر من مظاهر تفوقه المبهر وبيانه المعجز، الذي أدركته العرب الأوائل، وفيها دلالة على أن الالتفات إلى هذا الباب كان قديماً جداً، منذ تنزل القرآن الكريم وانبهار أرباب البلاغة والبيان بجلاله وجماله، وإن لم يظهر مصطلح (المناسبة) إلا متأخراً، شأنه شأن المصطلحات العلمية الأخرى التي نظرت إلى المضامين الثابتة

(١) الحاكم، "المستدرك على الصحيحين"، ٢: ٥٠٦، وابن كثير، "تفسير القرآن العظيم"، ٤: ٤٤٣.

(٢) أخرجه البخاري، برقم (٧٢٨٤)، مسلم، برقم (٢٠).

(٣) عبد الرزاق، "المصنف"، برقم (٥٩٨٨).

فأطلقت عليها المصطلحات الملائمة[١].

والذي نعتقده هو ثبوت علم المناسبة وتطبيقاته في القرآن الكريم بين الآيات والسور، وارتباط مبانيها ومعانيها، وأنه من وجوه إعجاز القرآن الكريم في بلاغته ونظمه؛ فالقرآن متصل بعضه ببعض، دقيق السرد، محكم النسج والسبك، والبحث في التناسب يخرج لنا لطائف الحِكم من وراء النص، وجلال المعنى المفهوم وجماله.

ومن أوائل من دعا إليه أبو بكر النيسابوري، وكان متفقهاً في الشريعة والأدب، وكان يلقي باللائمة على علماء بغداد؛ لإهمالهم علم المناسبات[٢]، واهتم كثير من المفسرين بعلم التناسب وتطبيقاته على آيات القرآن الكريم وسوره، ومن أشهر التفاسير التي اختصت بالبحث فيه: تفسير البقاعي "الدرر في تناسب الآيات والسور"، ومن قوله: "علم مناسبات القرآن علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة ؛ لأدائه إلى تحقيق مطابقة المقال لما اقتضاه من الحال، وتتوقف الإجادة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها، ويفيد ذلك في معرفة المقصود من جميع جملها، فلذلك كان هذا العلم في غاية النفاسة، وكانت نسبته من علم التفسير كنسبة علم

(١) وينظر: عقيد خالد العزاوي. "البيان في الإعجاز والتناسب في القرآن الكريم"، (ط١، دار الماجد والعصماء، ١٤٣٦هـ): ٢٨٦.

(٢) إبراهيم بن عمر البقاعي، " مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، (ط١، الرياض: مكتبة المعارف الإسلامي، ١٤٠٨هـ): ١: ١٤٢.

وأبو بكر النيسابوري قال الذهبي في التعريف به في "سير أعلام النبلاء"، ١٥: ٦٥: "هو الإمام الحافظ العلامة شيخ الإسلام أبو بكر عبد الله بن محمد بن زياد بن واصل بن ميمون النيسابوري، مولى أمير المؤمنين عثمان بن عفان، الأموي الحافظ الشافعي، صاحب التصانيف ... قال أبو عبد الله الحاكم: (كان إمام الشافعيين في عصره بالعراق، ومن أحفظ الناس للفقهيات واختلاف الصحابة . سمع بنيسابور، والعراق، ومصر، والشام، والحجاز) مات في شهر ربيع الآخر سنة أربع وعشرين وثلاثمائة عن بضع وثمانين سنة".

البيان من النحو"[1].

ومن المهم التنبه؛ لأن التكلف من بعض المتعاطين لهذا العلم وغيره لا يستقيم دليلاً على رده ومنع إثباته في القرآن الكريم؛ فالممارسات الفردية ليست معياراً حاكماً في باب العلم ثبوتاً وانتفاءً.

وهذا المبحث يتجه إلى الكشف عن علاقة الآيات محل الدراسة بعضها ببعض، واستخراج ما أمكن من المعاني اللطيفة، والخفايا الدقيقة من خلال التناسب بين الآيات.

الناظر في آيات الدراسة [البقرة٢٧١-٢٨١] يجد أن الآيات قبلها جاءت حاثة على النفقة، وذلك من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾﴾، إلى قوله: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾﴾ [سورة البقرة:٢٦٧-٢٧٠].

فأطنب القرآن الكريم في الحث على الإنفاق والبذل في سبيل الله، ثم جاء قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾﴾ [سورة البقرة: ٢٧٠]، تذييلا للحديث السابق عن الإنفاق وبيان صفاته

(١) البقاعي، "نظم الدرر"، ١: ٢٨.

المقبولة، حتى بدأت الآيات محل الدراسة من قوله تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾﴾ [سورة البقرة: ٢٧١]، لتتناسب مع الآية التي قبلها، فهي استئناف بياني ناشئ عن قوله: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ﴾ [سورة البقرة: ٢٧٠] الآية، والتعميم في قوله: ﴿مِّن نَّفَقَةٍ﴾ يثير السؤال في نفس المتلقي هل إبداء الصدقة أفضل أم إخفاؤها؟ فجاءت الآية لتجيب عن هذا السؤال الخفي في نفسه، لتؤكد أن كلا الحالين خير، وإن كان إخفاؤها أفضل للفقير حتى لا ينزل قدره عند الناس، وأبعد لصاحبها من الرياء، وقد جاء في الحديث الصحيح تفسيرٌ لهذه الآية من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: "وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا، حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا صَنَعَتْ يَمِينُهُ"(١)، وقد سلفت الإشارة إلى شيء من ذلك في مبحث الدراسة الصوتية، ونقل كلام أهل العلم في أفضلية الإظهار والإخفاء بحسب الحال والزمان.

۞ **قوله تعالى:** ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾﴾ [سورة البقرة: ٢٧٢]، هذه الآية استئناف معترض بين الآية السابقة والآية اللاحقة بعدها.

۞ **قوله تعالى:** ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾﴾ [سورة البقرة: ٢٧٣]، متعلق بالآية السابقة، وبيان لوجه الإنفاق أنه

(١) أخرجه البخاري، برقم (١٤٢٠).

للفقراء، وقد ذكرهم مع أن الصدقة أو الزكاة لا تكون إلا لهم فهم أحد الأصناف المستحقة للزكاة؛ للحث على المداومة على الإنفاق عليهم، ثم خصص نوعًا منهم وهم المحصورون في سبيل الله، والمعروفون بعلامة الفقر وضيق الحال، وترفّعهم عن سؤال الناس حياء وتعففًا.

۞ **قوله تعالى:** ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٧٤﴾ [سورة البقرة:٢٧٤]، جملة مستأنفة أفادت التعميم والتفصيل في أحوال الإنفاق، فالإنفاق يكون سرّا أو علانية، ليلًا أو نهارًا، وهو جمْع بين الأحوال الزمانية، والأحوال النفسية للمعطي.

۞ **قوله تعالى:** ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٧٥﴾ [سورة البقرة:٢٧٥]، تناسبت هذه الآية مع ما قبلها تناسبًا سياقيًّا بديعاً، فقد نظم القرآن أهم أصول حفظ مال الأمة في سلك هاته الآيات؛ فبعد أن ابتدأ بأعظم تلك الأصول وهو تأسيس مال للأمة به قوام أمرها، يؤخذ من أهل الأموال أخذاً عدلاً مما كان فضلاً عن الغنى؛ فيرد على فقرائهم؛ فأطنب في الحث عليه، والترغيب في ثوابه، والتحذير من إمساكه، ما كان فيه موعظة لمن اتعظ، عطف الكلام إلى إبطال وسيلة كانت من أسباب أخذ الأغنياء أموالَ المحتاجين إليهم، وهي المعاملة بالربا الذي لقبه النبي ﷺ ربا الجاهلية"(١)، وقد بينت هذه الآية سوء عاقبة آكل الربا في الآخرة بأنه من أصحاب النار الخالدين فيها وبئس المصير.

(١) ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ٣: ٧٨، ٧٩.

۞ **قوله تعالى**: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾﴾ [سورة البقرة:٢٧٦]، وهذه الآية – أيضاً – بيان واستئناف لما قبلها؛ فإنه بعد أن بيَّن سوء عاقبة آكل الربا في الآخرة –وقدمها؛ لأنها الأهم– بيَّن سوء عاقبة آكل الربا في الدنيا والفرق بينهما في الجزاء؛ بأن الله يتلف مال الربا وينزع منه البركة، ويبارك في الصدقات ويزيد في مال أصحابها وثوابهم؛ فالحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمئة ضعف إلى أضعاف كثيرة(١).

وختمت الآية بقوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾﴾ وهو تذييل يفيد أن أعمال الربا من عمل الكفار الآثمين، الذين استوجبوا سخط الله وطردهم من محبته؛ فلا يليق بالمسلم أن يواقعه أو يستحله فيلحق بهم، وجاءت {كُلَّ} بالنصب، وسبقها نفي، وقد جرى الخلاف بين البلاغيين في إفادتها العموم حال نصبها ونفيها؛ فذهب عبد القاهر إلى أن (كلّ) إذا جاءت في سياق النفي وكانت منصوبة؛ لا تفيد العموم والشمول، واستشهد في ذلك بقول أبي النجم العجلي(٢):

قدْ أصبَحَتْ أُمُّ الخيارِ تدَّعي عليَّ ذَنْبًا كُلُّه لَمْ أصْنَعِ

ثم قال: " قد حمله الجميع على أنه أدخل نفسه من رفع "كلٌّ" في شيء إنما يجوز عند الضرورة، من غير أن كانت به إليه ضرورة. قالوا: لأنه ليس في نصب "كل" ما يكسر له وزناً، أو يمنعه من معنى أراده، وإذا تأملت وجدته لم يرتكبه ولم يحمل نفسه عليه إلا لحاجة له إلى ذلك، وإلا لأنه رأى النصب يمنعه ما يريد؛ وذاك أنه أراد أنها تدعي عليه ذنباً لم يصنع منه شيئا البتة، لا قليلا ولا كثيرا ولا بعضاً ولا كلًّا، والنصب يمنع من هذا المعنى، ويقتضي أن يكون قد أتى من الذنب الذي ادعته بعضه؛ وذلك

(١) ينظر: البقاعي، "نظم الدرر"، ١٥: ١٠١.

(٢) البيت من شواهد سيبويه في "الكتاب"، ١: ٨٥.

أنا إذا تأملنا وجدنا إعمال الفعل في "كل" والفعل منفي، لا يصلح أن يكون إلا حيث يراد بعضاً كان وبعضاً لم يكن؛ تقول: "لم ألق كل القوم"، و "لم آخذ كلَّ الدراهم"؛ فيكون المعنى أنك لقيت بعضاً من القوم ولم تلق الجميع، وأخذت بعضاً من الدراهم وتركت الباقي، ولا يكون أن تريد أنك لم تلق واحداً من القوم، ولم تأخذ شيئاً من الدراهم. وتعرف ذلك بأن تنظر إلى "كل" في الإثبات وتتعرف فائدته فيه، وإذا نظرت وجدته قد اجتلب لأن يفيد الشمول في الفعل الذي تسنده إلى الجملة أو توقعه بها"[1].

وخلاصة كلامه أن النصب في (كل) لا يستغرق جميع المنع خلاف الرفع الذي يستغرق جميع أفراد المذكور، سواء في ذلك الإثبات أو النفي، والاستشهاد بالبيت على أن الشاعر لو نصب (كل) لم يخل بالوزن، لكنه عمد إلى الرفع لمقصدية أرادها.

ولم يرتض بعض شراح التلخيص ما ذهب إليه عبد القاهر، فقد تتبع القزويني كلام عبد القاهر في تقديم (كل) وأنها تفيد النفي على العموم، وناقشه مبينًا أنها إذا كانت مقدمة أو منفية فإنها لا يشذ عنها شيء في النفي، فقال بعد أن أورد كلام عبد القاهر، وبيت أبي النجم العجلي: "وعلة ذلك أنك إذا بدأت بكل كنت قد بنيت النفي عليه وسلطت الكلية على النفي وأعملتها فيه، وإعمال معنى الكلية في النفي يقتضي ألا يشذ شيء عن النفي، فاعرفه"[2].

كما فصل التفتازاني الحديث عن (كل) في الإثبات والنفي، وناقش عبد القاهر، فقال: "وقال الشيخ: إذا تأملنا وجدنا إدخال كل في حيز النفي لا يصلح إلا حيث يراد أن بعضًا كان، وبعضًا لم يكن؛ وفيه نظر؛ لأنا نجده حيث لا يصلح أن يتعلق

(١) الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ١: ٢٧٨.

(٢) القزويني، "الإيضاح في علوم البلاغة"، ٢: ٧٨.

الفعل ببعض كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾﴾"[١].

وعلى هذا تكون (كل) في الآية المسبوقة بنفي تفيد عموم كل كفارٍ آكلٍ للربا أو غير الآكلين، الآثمين منهم، وغير الآثمين.

ولمَّا تقدم ذكر الربا وأن الله يمحقه ويزيله من يدي صاحبه، ويُحرم بركته، على غير ما كان يتوقع، واستوعده بالخلود في النار، ونفَّر من صورته يوم البعث حين يقوم متخبطًا كالمصروع من الجن، مدح الله عز وجل عباده المؤمنين الذين يتسابقون لإرضائه بعمل الصالحات، ومنها إقام الصلاة، والبذل والإنفاق بإيتاء الزكاة في سبيل الله، ووعدهم بالأمن والأمان، ونفي الخوف عنهم والأحزان، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾﴾ [سورة البقرة:٢٧٧]، فهذه الآية اعترضت آيات الربا لتفيد الموازنة بين الذم والمدح؛ فتوسطت الآيات لتفيد بأن عمل الربا وصاحبه مذموم، في حين أن عمل الصالحات – ومنها إيتاء الزكاة – هو المنوط به الأجر عند الله، ومجاورة هذه الآية في عرض سياق الحديث عن الربا أفادت وضوح المعنى بين الأمرين، كما نوعت بين الوعد والوعيد، والترغيب والترهيب، يقول الرازي: "إن عادة الله في القرآن مطردة بأنه تعالى مهما ذكر وعيداً ذكر بعده وعداً؛ فلما بالغ هاهنا في وعيد المرابي أتبعه بهذا الوعد"[٢].

والتجاور هنا يجلّي الفرق بين صورتين لفريقين متضادين؛ الفريق الأول: الذين يأكلون الربا؛ فالأثر النفسي عليهم من أكل الربا جعلهم متخبطين كالوحوش الضارية التي تفترس

(١) مسعود بن عمر التفتازاني، "المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم". تحقيق: عبد الحميد هنداوي. (ط٣، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٣٤هـ)، ص ٣٧٩.

(٢) الرازي، "مفاتيح الغيب"، (٨١/٧).

ما يقع تحتها، وأما الأثر على المجتمع فهو جعله متفككًا متعادياً؛ فكان العقاب في الآخرة بمثل هذه الحالة النفسية في الدنيا بأن يقوم من قبره متخبطًا كالذي مسّته الجن، وأن يكونوا فرادى يوم القيامة معلَّمين بهذه الصفة فيعلمهم الناس في المحشر.

والفريق الثاني: هو فريق المؤمنين الذين صدق إيمانهم القولي والعملي، فأقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، ولا شك أن الأثر النفسي عليهم جعلهم يشعرون بالطمأنينة والسعادة في الدنيا، والأثر على المجتمع بأنه مترابط متناسج؛ فالصلاة توحد الصفوف، والزكاة تزيل الأضغان من القلوب؛ ولذا كان جزاؤهم في الآخرة من جنس ذلك، فالأثر النفسي أنهم آمنون في الآخرة سعداء لا يحزنون، والأثر المجتمعي أنهم جماعة يعرفون بهذه السيما في الآخرة، سيما الأمن وعدم الحزن.

۞ **قوله تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾﴾ [سورة البقرة:٢٧٨]، ومناسبة هذه الآية لما قبلها هو أن الله تعالى لما هيأ النفوس للنفور من الربا، ووضح لهم أنه أحل لهم البيع بدلًا من ذلك وحرم عليهم الربا: كان الخطاب يحتاج إلى تفصيل للمتلقي الذي التبس عليه الأمر؛ فإن ظن أن الواو عطفٌ في قوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ فهو إكمال لمقولهم ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾؛ فهذه الآية على التحريم المطلق، وردٌّ على هذا الالتباس، فهو تشريع صريح لا لبس فيه.

وإن كانت الواو استئنافاً فهم أن قوله: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾، هو كلام الله تعالى لا كلام الذين ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾؛ فقد علم أن هذا تشريع من الله تعالى، وتكون هذه الآية تأكيداً للمعنى وحثّاً على امتثال الأمر وترك الربا قليله وكثيره.

وقدم ﷻ الأمر بالتقوى قبل الأمر بترك الربا والامتناع عنه؛ لأن تقوى الله هي الأصل الدافع للعمل؛ إذ هي امتثال الأوامر واجتناب النواهي، ومن جملتها ترك الربا

والتعامل به.

۞ **قوله تعالى:** ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾، هذه الآية متعلقة بنهاية الآية السابقة وهي قوله تعالى: {إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾}، يقول الزجاج: "واعلم أنَّ مَن كان مؤْمنًا قَبلَ عن الله أمرَه، ومن أبى فهو حرْبٌ"(١).

۞ **قوله تعالى:** ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾﴾ [سورة البقرة:٢٨٠]، تتعلق هذه الآية بما قبلها بطريق العطف، يقول ابن عاشور: "عطف على قوله: ﴿فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ [سورة البقرة:٢٧٩]؛ لأن ظاهر الجواب أنهم يسترجعونها معجلة، إذ العقود قد فسخت. فعطف عليه حالة أخرى، والمعطوف عليه حالة مقدرة مفهومة؛ لأن الجزاء يدل على التسبب، والأصل حصول المشروط عند الشرط. والمعنى وإن حصل ذو عسرة، أي غريم معسر"(٢).

۞ **قوله تعالى:** ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [سورة البقرة:٢٨١]، مناسبة هذه الآية لما قبلها أنها جاءت تذييلاً للخطاب السابق المطنب في الحديث عنه من آيات الإنفاق والترغيب فيها، وآيات الربا وتحريمه والتحذير من التعامل به على أي حال؛ فجاءت هذه الآية ختاماً لخطاب المؤمنين، ترهيباً لهم من فعل المنهي عنه، وترغيباً في حصول الأجر والثواب في هذا اليوم العظيم؛ لتتعلق القلوب بالآخرة وتتخلص من طمع الدنيا وتربّعها في القلوب.

(١) "معاني القرآن"، ١: ٣٥٩.

(٢) ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ٣: ٩٥.

الخاتمة

من خلال العرض لهذه الآيات الكريمة، نجد أن التجاور السياقي بين آيات الإنفاق والربا قد أظهر دلالات معنوية عميقة، وأشاع آثاراً نفسية بالغة على المتلقي للمزج التجاوري بين الترهيب والترغيب، والإطناب والإيجاز، وتنوع الأساليب العلية البديعة، ونجدها قد جاءت متناسبة مترابطة في داخلها أولاً، وفيما بينها ثانياً، على أرفع وأسمى وجوه السبك والحبك والتماسك، والتتابع للمعاني، والتغاير بين الأساليب الخبرية والإنشائية لتصوير جمالية الإيحاء، وتأكيد عمق الدلالة وتعددها.

وقد توصل البحث إلى نتائج عدة؛ لعل من أهمها وأبرزها:

١- أن مصطلح (التجاور) وجد مبثوثا في كتب البلاغيين القدماء بجانب مصطلحات أخرى تدور حول ترابط النص وتماسكه، وجودة ترتيبه، وحسن تنسيقه وأثر ذلك على المتلقي.

٢- أن دراسة المفردة القرآنية في الآيات محل الدراسة كشفت عن التفرد الصوتي لها الذي يتناغم مع حروفها، وأنها مقصودة لذاتها لا تصلح مفردة أخرى مكانها، ولا تنوب عنها في خاص معناها، وقد حققت بلاغتها من مطابقتها للمعنى.

٣- أن الدراسة الصوتية للمفردات حققت معادلة صعبة في فهم الدلالة من المفردة القرآنية عن طريق دراسة الصوت وفهم تنوع الأصوات اللينة والأصوات الشديدة، وتناسبها مع السياق في توجيه الدلالة المرادة.

٤- تفرد النظم القرآني في التراكيب المستعملة سواء كانت خبرية أم إنشائية، وقد دار القدماء حول هذا الأمر مؤكدين أن دلالة الألفاظ وجمالها لا تظهر إلا من خلال التراكيب، غير أن السياق بمفهوم التجاور التوقيفي للآيات يحدث دلالة جديدة إما أن تكون مغايرة أو مؤكدة لمسار السياق الخطابي.

٥- أن التراكيب القرآنية لا تتوقف دلالتها عند التقسيمات القاعدية في البلاغة

التعليمية، وإنما تتعداها لدلالات أكثر لا تفهم إلا من خلال الدراسة المتكاملة للنص، وقد كانت التقسيمات والقواعد هادية للنظرة الشمولية التحليلية وأساساً معرفياً مهماً في استدرار الذوق ولفت الانتباه.

٦- أن النظر في التناسب بين آيات القرآن الكريم وسوره ثابت من عهد تنزل القرآن الكريم، واقتصر البحث على التناسب بين الآيات محل الدراسة، وأن ثمة تناسباً بين الآيات يربطها برباط واضح يجعلها كالحبات المنظومة في عقد ثمين لا يستطيع أحد انتزاع إحدى حبات عقده من مكانها.

٧- أن التجاور في آيات الإنفاق والربا شكّل صورة واضحةً في حسن الإنفاق وبركته مع أنه بذلٌ وإعطاء، وفي قبح الربا وحرمته ومهلكته مع أنه أخذٌ واجتناء؛ فظهرت حكمة الله البالغة وتجلت، في أحسن كلام وأبلغ بيان، وزاد ذلك من وضوح المعنى الأصلي المراد وتأكيده، وهو تحريم الربا والحث على ما هو خير منه، وهو الإنفاق في سبيل الله وإعطاء الزكاة للمستحقين، والحذر من عاقبة حرب الله ورسوله.

ويمكن الخروج ببعض التوصيات التي نرى أهمية العناية بها، ومنها:

أهمية التوجه إلى دراسة الآيات الموضوعية المقترنة في كتاب الله تعالى، دراسة متكاملة تتكئ على علاقة التجاور في الآيات والموضوعات؛ لإبراز الصورة الكلية للمعنى.

والله الموفق والهادي.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

أبو حيان، محمد بن يوسف. "البحر المحيط". تحقيق: صدقي محمد جميل. (د.ط، بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠هـ).

أبو العدوس، يوسف مسلم. "مدخل إلى البلاغة العربية". (ط٣، دار المسيرة، ٢٠١٣م).

أبو عمرو الداني، عثمان بن سعيد. "التحديد في الإتقان والتجويد". تحقيق: غانم قدوري حمد. (ط١، بغداد: مكتبة دار الأنبار، ١٩٨٨م).

أبو موسى، محمد محمد، "ثلاثة من كرامنا يتحدثون إلينا — الجاحظ- أبوهلال — ابن الأثير"، (ط١، القاهرة: مكتبة وهبة، ٢٠٢٥م).

أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله. "الصناعتين". تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم. (د.ط، بيروت: المكتبة العصرية، ١٤١٩هـ).

ابن أبي الإصبع، عبد العظيم بن الواحد "بديع القرآن" تحقيق: حنفي شرف، (ط١، القاهرة: دار النهضة).

ابن الأثير، ضياء الدين بن محمد، "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر"، تحقيق: أحمد الحوفي – بدوي طبانة، (ط٢، القاهرة: دار نهضة مصر).

الأصفهاني، الحسين بن محمد. "تفسير الراغب الأصفهاني". تحقيق: محمد عبد العزيز بسيوني، (ط١، مصر: كلية الآداب- جامعة طنطا، ١٩٩٩م).

أنيس، إبراهيم. "الأصوات اللغوية". (ط٥، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٥م).

امرؤ القيس. "ديوان امرئ القيس". تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (ط٥، القاهرة: دار المعارف).

البغوي، الحسين بن مسعود. "معالم التنزيل في تفسير القرآن". تحقيق: محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش. (ط٤، الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٩٩٧م).

البقاعي، إبراهيم بن عمر. "مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور. (ط١، الرياض: مكتبة المعارف الإسلامي، ١٤٠٨هـ).

البقاعي، إبراهيم بن عمر. "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور". (د.ط، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، د.ت).

البيضاوي، عبد الله بن عمر. "أنوار التنزيل وأسرار التأويل". تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي. (ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ).

التفتازاني، مسعود بن عمر. "المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم". تحقيق: عبد الحميد هنداوي. (ط٣، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٣٤هـ).

الجاحظ، عمرو بن بحر. "البيان والتبيين". (بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٤٢٣هـ).

جبايلي، الطيب. "التحليل الأسلوبي في ظل نظرية السياق". مجلة سياقات اللغة والدراسات البينية، م٥، ع١، أبريل ٢٠٢٠م.

الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن. "دلائل الإعجاز". تحقيق: محمود محمد شاكر. (ط٣، القاهرة: مطبعة المدني، ١٩٩٢م).

ابن جني، أبو الفتح عثمان، "الخصائص"، تحقيق: محمد علي النجار، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٧٧هـ).

حبنكة، عبد الرحمن بن حسن. "البلاغة العربية". (ط١، دمشق: دار القلم، ١٩٩٦م).

حسان، تمام. "اللغة العربية معناها ومبناها". (ط٥، القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٦م).

الخفاجي، عبد الله بن سنان. "سر الفصاحة". (ط١، مصر: دار الكتب العلمية،

١٤٠٢هـ).

الرازي، محمد بن عمر. "مفاتيح الغيب". (ط٣، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ).

الرافعي، مصطفى صادق، "إعجاز القرآن والبلاغة النبوية"، (ط٨، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٢٥هـ).

الرماني، علي بن عيسى، "النكت في إعجاز القرآن"، تحقيق: محمد خلف الله، محمد زغلول سلام، (ط٣، مصر: دار المعارف، ١٩٧٦م).

الزجاج، إبراهيم بن السري. "معاني القرآن وإعرابه". تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي. (ط١، بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٨م).

الزمخشري، محمود بن عمرو. "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل". (ط٣، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ).

سالم، صفوت محمود "فتح رب البرية شرح المقدمة الجزرية في علم التجويد"، (ط٢، جدة: دار نور المكتبات، ١٤٢٤هـ).

السعران، محمود. "علم اللغة مقدمة للقارئ العربي". (ط٢، دار الفكر العربي، ١٩٩٧م).

سيبويه، عمرو بن عثمان. "الكتاب". تحقيق: عبد السلام محمد هارون. (ط٣، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٨٨م).

ابن سيده، علي بن إسماعيل. "المحكم والمحيط الأعظم". تحقيق: عبد الحميد هنداوي. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م).

شادي، محمد إبراهيم. "البلاغة الصوتية في القرآن الكريم". (ط١، القاهرة: شركة الرسالة، ١٩٨٨م).

الطالبي، يحيى بن حمزة، "الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز"، (ط١،

بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٣هـ).
ابن طباطبا، محمد بن أحمد. "عيار الشعر" تحقيق: عبد العزيز بن ناصر المانع. (د.ط، القاهرة: مكتبة الخانجي، د.ت).
ابن عاشور، محمد الطاهر. "التحرير والتنوير". (د.ط، تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م).
عباس، حسن. "خصائص الحروف العربية ومعانيها". (د.ط، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٨م).
عبد التواب، رمضان. "المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي". (ط٣، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٩٧م).
العزاوي، عقيد خالد. "البيان في الإعجاز والتناسب في القرآن الكريم". (ط١، دار الماجد والعصماء، ١٤٣٦هـ).
عتيق، عبد العزيز. "علم المعاني". (ط١، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٩م).
ابن عطية، عبد الحق بن غالب. "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز". تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ).
العلوي، يحيى بن حمزة. "الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز". (ط١، بيروت: المكتبة العنصرية، ١٤٢٣هـ).
ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء. "مقاييس اللغة". تحقيق: عبد السلام محمد هارون. (د.ط، دار الفكر، ١٩٧٩م).
الفراهيدي، الخليل بن أحمد. "كتاب العين". تحقيق: د. مهدي المخزومي– د. إبراهيم السامرائي. (القاهرة: دار ومكتبة الهلال، د.ت).
فيود، بسيوني عبد الفتاح. "علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني". (ط٤،

القاهرة: مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ٢٠١٥م).
قدور، أحمد محمد. "مبادئ اللسانيات". (ط٣، دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٨م).
ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم. "الشعر والشعراء". (د.ط، القاهرة: دار الحديث، ١٤٢٣هـ).
القزويني، محمد بن عبد الرحمن. "الإيضاح في علوم البلاغة". تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي. (ط٣، بيروت: دار الجيل، ١٤١٤هـ).
ابن كثير، إسماعيل بن عمر، "تفسير القرآن العظيم"، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ).
الماوردي، علي بن محمد. "النكت والعيون". تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم. (د.ط، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت).
ابن المبارك، أبو عبد الرحمن عبد الله. "الزهد والرقائق". تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي. (د.ط، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت).
ابن منظور، محمد بن مكرم. "لسان العرب". (ط٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ).
النحاس، أحمد بن محمد، "إعراب القرآن". (ط١، بيروت: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ).
ابن النقيب، محمد بن سليمان، "التحرير والتحبير لأقوال أئمة التفسير في معاني كلام السميع البصير"، (ط١، د.ن، د.ت).
الواحدي، علي بن أحمد. "الوسيط في تفسير القرآن المجيد". تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٤م).

Bibliography

The Noble Qur'an.

ʻAbbās, Ḥasan. "Khaṣā'iṣ al-ḥurūf al-ʻArabīyah wa-maʻānīhā". (n.ed., Manshūrāt Ittiḥād al-Kitāb al-ʻArab, 1998).

ʻAbd al-Tawwāb, Ramaḍān. "al-Madkhal ilá ʻilm al-lughah wa-manāhij al-Baḥth al-lughawī". (3rd ed, Cairo: Maktabat al-Khānjī, 1997).

Abū al-ʻAdūs, Yūsuf Muslim. "madkhal ilá al-balāghah al-ʻArabīyah". (3rd ed, Dār al-Masīrah, 2013).

Abū ʻAmr al-Dānī, ʻUthmān ibn Saʻīd. "al-Taḥdīd fī al-Itqān wa-al-tajwīd". Investigated by: Ghānim Qaddūrī Ḥamad. (1st ed, Baghdad: Maktabat Dār al-Anbār, 1988).

Abū Ḥayyān, Muḥammad ibn Yūsuf. "al-Baḥr al-Muḥīṭ". Investigated by: Ṣidqī Muḥammad Jamīl. (n.ed., Beirut: Dār al-Fikr, 1420).

Abū Hilāl al-ʻAskarī, al-Ḥasan ibn ʻAbdillāh. "al-ṣināʻatayn". Investigated by: ʻAlī Muḥammad al-Bajāwī and Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm. (n.ed., Beirut: al-Maktabah al-ʻAṣrīyah, 1419).

Abū Mūsá, Muḥammad Muḥammad, "thalāthat min krāmnā yataḥaddathūn Ilīnā – aljāḥẓ-abwhlāl – Ibn al-Athīr", (1st ed., Cairo: Maktabat Wahbah, 2025).

Al-ʻAlawī, Yaḥyá ibn Ḥamzah. "al-Ṭirāz li-asrār al-balāghah wa-ʻulūm ḥaqā'iq al-iʻjāz". (1st ed., Beirut: Al-Maktabah al-ʻunṣurīyah, 1423).

Al-Aṣfahānī, al-Ḥusayn ibn Muḥammad. "Tafsīr al-Rāghib al-Aṣfahānī". Investigated by: Muḥammad ʻAbd al-ʻAzīz Basyūnī, (1st ed., Egypt: Kullīyat al'ādāb-Jāmiʻat Ṭanṭā, 1999).

Al-ʻAzzāwī, ʻAqīd Khālid. "al-Bayān fī al-iʻjāz wāltnāsb fī al-Qur'ān al-Karīm". (1st ed., Dār al-Mājid wāl'ṣmā', 1436).

Al-Baghawī, al-Ḥusayn ibn Masʻūd. "Maʻālim al-tanzīl fī tafsīr al-Qur'ān". Investigated by: Muḥammad ʻAbd Allāh al-Nimr-ʻUthmān Jumʻah Ḍumayrīyah-Sulaymān Muslim al-Ḥarsh. (4th ed, Riyadh: Dār Ṭaybah lil-Nashr wa-al-Tawzīʻ, 1997).

Al-Baiḍāwī, ʻAbdullāh ibn ʻUmar. "Anwār al-tanzīl wa-asrār al-ta'wīl". Investigated by: Muḥammad ʻAbd al-Raḥmān al-Marʻashlī. (1st ed, Beirut: Dār Iḥyā' al-Turāth al-ʻArabī, 1418).

Al-Biqāʻī, Ibrāhīm ibn ʻUmar. "Maṣāʻid al-naẓar lil-ishrāf ʻalá Maqāṣid al-suwar". (1st ed, Riyaḍh: Maktabat al-Maʻārif al-Islāmī, 1408).

Al-Biqāʻī, Ibrāhīm ibn ʻUmar. "Naẓm al-Durar fī tanāsub al-āyāt wa-al-suwar". (n.ed., Cairo: Dār al-Kitāb al-Islāmī, n.d).

Al-Farāhīdī, al-Khalīl ibn Aḥmad. "Kitāb al-‘Ain". Investigated by: Mahdī al-Makhzoumy- Ibrāhīm al-Sāmurrā’ī. (n.ed., Cairo: Dār wa-Maktabat al-Hilāl, n.d).

Al-Jāḥiẓ, ‘Amr ibn Baḥr. "al-Bayān wa-Tabyin". (Beirut: Dār wa-Maktabat al-Hilāl, 1423).

Al-Jurjānī, ‘Abd al-Qāhir ibn ‘Abd al-Raḥmān. "Dalā’il al-i‘jāz". Investigated by: Maḥmūd Muḥammad Shākir. (3rd ed, Cairo: Maṭba‘at al-madanī, 1992).

Al-Khafājī, ‘Abdullāh ibn Sinān. "Sirr al-Faṣāḥah". (1st ed., Egypt: Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, 1402).

Al-Māwardī, ‘Alī ibn Muḥammad. "al-Nukat wa-al-‘Uyūn". Investigated by: al-Sayyid Ibn ‘Abd al-Maqṣūd ibn ‘Abd al-Raḥīm. (n.ed., Beirut: Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, n.d).

Al-Naḥḥās, Aḥmad ibn Muḥammad, "I‘rāb al-Qur’ān". (1st ed., Beirut: Manshūrāt Muḥammad ‘Alī Bayḍūn, Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, 1421).

Al-Qazwīnī, Muḥammad ibn ‘Abd al-Raḥmān. "al-Īḍāḥ fī ‘ulūm al-balāghah". Investigated by: Muḥammad ‘Abd al-Mun‘im Khafājī. (3rd ed., Beirut: Dār al-Jīl, 1414).

Al-Rāzī, Muḥammad ibn ‘Umar. "Mafātīḥ al-Ghaib". (3rd ed, Beirut: Dār Iḥyā’ al-Turāth al-‘Arabī, 1420).

Al-Rāfi‘ī, Muṣṭafá Ṣādiq, "I‘jāz al-Qur’ān wa-al-balāghah al-Nabawīyah", (8th ed., Beirut: Dār al-Kitāb al-‘Arabī, 1425).

Al-Rummānī, ‘Alī ibn ‘Īsá, "al-Nukat fī I‘jāz al-Qur’ān", Investigated by: Muḥammad Khalaf Allāh, Muḥammad Zaghlūl Sallām, (3rd ed., Egypt: Dār al-Ma‘ārif, 1976).

Al-Sa‘rān, Maḥmūd. "‘Ilm al-lughah muqaddimah llqār’ al-‘Arabī". (2nd ed., Dār al-Fikr al-‘Arabī, 1997).

Al-Ṭālibī, Yaḥyá ibn Ḥamzah, "al-Ṭirāz li-asrār al-balāghah wa-‘ulūm ḥaqā’iq al-i‘jāz", (1st ed., Beirut: Al-Maktabah Al-‘Aṣrīyah, 1423).

Al-Taftāzānī, Mas‘ūd ibn ‘Umar. "al-Muṭawwal sharḥ Talkhīṣ Miftāḥ al-‘Ulūm". Investigated by: ‘Abd al-Ḥamīd Hindāwī. (3rd ed., Beirut: Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, 1434).

Al-Wāḥidī, ‘Alī ibn Aḥmad. "al-Wasīṭ fī tafsīr al-Qur’ān al-Majīd". Investigated by: ‘Ādil Aḥmad ‘Abd al-Mawjūd wa-ākharūn. (1st ed, Beirut: Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, 1994).

Al-Zajjāj, Ibrāhīm ibn al-sirrī. "ma‘ānī al-Qur’ān wa-i‘rābuh". Investigated by: ‘Abd al-Jalīl ‘Abduh Shalabī. (1st ed, Beirut: ‘Ālam al-Kutub, 1988).

Al-Zamakhsharī, Maḥmūd ibn ʻAmr. "al-Kashshāf ʻan ḥaqāʼiq ghawāmiḍ al-tanzīl". (3rd ed, Beirut: Dār al-Kitāb al-ʻArabī, 1407).
Anīs, Ibrāhīm. "al-aṣwāt al-lughawīyah". (5th ed., Cairo: Maktabat al-Anjlū al-Miṣrīyah, 1975).
ʻAtīq, ʻAbd al-ʻAzīz. "ʻilm al-maʻānī". (1st ed., Beirut: Dār al-Nahḍah al-ʻArabīyah lil-Ṭibāʻah wa-al-Nashr wa-al-Tawzīʻ, 2009).
Emruʼu al-Qais, Ibn Ḥajar. "Dīwān amriʼ al-Qais". Investigated by: Muhammad Abu al-Fadl Ibraheem. (1st ed., Beirut: Dār al-Maʻrifah, 1425-2004).
Fayyoud, Basyūnī ʻAbd al-Fattāḥ. "ʻilm al-maʻānī dirāsah balāghīyah wa-naqdīyah li-masāʼil al-maʻānī". (4th ed., Cairo: Muʼassasat al-Mukhtār, 2015).
Ḥabannakah, ʻAbd al-Raḥmān ibn Ḥasan. "al-balāghah al-ʻArabīyah". (1st ed, Damascus: Dār al-Qalam, 1996).
Ḥassān, Tammām. "al-lughah al-ʻArabīyah maʻnāhā wa-mabnāhā". (5th ed, Cairo: ʻĀlam al-Kutub, 2006).
Ibn Abī al-Iṣbaʻ, ʻAbdul-ʻAẓīm ibn al-Wāḥid "Badīʻ al-Qurʼān". Investigated by: Ḥanafī Sharaf. (1st ed., Cairo: Dār al-Nahḍah).
Ibn al-Athīr, Ḍiyāʼ al-Dīn ibn Muḥammad, "al-mathal al-sāʼir fī adab al-Kātib wa-al-shāʻir", Investigated by: Aḥmad al-Ḥūfī-Badawī Ṭabānah, (2nd ed., Cairo: Dār Nahḍat Miṣr).
Ibn al-Mubārak, Abū ʻAbd al-Raḥmān ʻAbd Allāh. "al-Zuhd wa-al-raqāʼiq". Investigated by: Ḥabīb al-Raḥmān al-Aʻẓamī. (n.ed., Beirut: Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah, .n.d).
Ibn al-Naqīb, Muḥammad ibn Sulaymān, "Al-Taḥrīr wa-al-Taḥbīr li-aqwāl aʼimmat al-tafsīr fī maʻānī kalām al-Samīʻ al-Baṣīr", (1st ed., n.p., n.d).
Ibn ʻĀshūr, Muḥammad al-Ṭāhir. "al-Taḥrīr wa-al-tanwīr".(n.ed., Tunisia: al-Dār al-Tūnisīyah lil-Nashr, 1984).
Ibn ʻAṭīyah, ʻAbd al-Ḥaqq ibn Ghālib. "al-muḥarrir al-Wajīz fī tafsīr al-Kitāb al-ʻAzīz". Investigated by: ʻAbd al-Salām ʻAbd al-Shāfī Muḥammad. (1st ed, Beirut: Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah, 1422).
Ibn Jinnī, Abū al-Fatḥ ʻUthmān, "al-Khaṣāʼiṣ", Investigated by: Muḥammad ʻAlī al-Najjār, (Cairo: al-Hayʼah al-Miṣrīyah al-ʻĀmmah lil-Kitāb, 1377).
Ibn Fāris, Aḥmad ibn Fāris ibn Zakarīyāʼ. "Maqāyīs al-lughah". Investigated by: ʻAbd al-Salām Muḥammad Hārūn. (n.ed., Dār al-Fikr, 1979).
Ibn Kathīr, Ismāʻīl ibn ʻUmar, "tafsīr al-Qurʼān al-ʻAẓīm", Investigated

by: Muḥammad Ḥusayn Shams al-Dīn, (1st ed, Beirut: Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, 1419).

Ibn manẓūr, Muḥammad ibn Mukarram. "Lisān al-‘Arab". (3rd ed, Beirut: Dār Ṣādir, 1414).

Ibn Qutaybah, ‘Abdullāh ibn Muslim. "al-shi‘r wa-al-shu‘arā’". (n.ed., Cairo: Dār al-ḥadīth, 1423).

Ibn Seedah, ‘Alī ibn Ismā‘īl. "al-Muḥkam wa-al-Muḥīṭ al-A‘ẓam". Investigated by: ‘Abd al-Ḥamīd Hindāwī. (1st ed, Beirut: Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, 2000).

Ibn Ṭabāṭabā, Muḥammad ibn Aḥmad. "‘Iyār al-shi‘r". Investigated by: ‘Abd al-‘Azīz ibn Nāṣir al-Māni‘. (n.ed., Cairo: Maktabat al-Khānjī, n.d).

Jbāyly, al-Ṭayyib. "al-Taḥlīl al-uslūbī fī ẓill Naẓarīyat al-siyāq". Journal of Language Contexts and Interdisciplinary Studies, Vol. 5, issue. 1, April 2020.

Qaddūr, Aḥmad Muḥammad. "Mabādi’ al-lisānīyāt". (3rd ed., Damascus: Dār al-Fikr, 2008).

Sālim, Ṣafwat Maḥmūd "Fatḥ Rabb al-barīyah sharḥ al-muqaddimah al-Jazarīyah fī ‘ilm al-tajwīd", (2nd ed., Jiddah: Dār Nūr al-Maktabāt, 1424).

Shādī, Muḥammad Ibrāhīm. "al-balāghah al-ṣawtīyah fī al-Qur’ān al-Karīm". (1st ed., Cairo: Sharikat al-Risālah, 1988).

Sībawaih, ‘Amr ibn ‘Uthmān. "al-Kitāb". Investigated by: ‘Abd al-Salām Muḥammad Hārūn. (3rd ed., Cairo: Maktabat al-Khānjī, 1988).


الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
١٣٨
١٩٦

THE ISLAMIC UNIVERSITY JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE PART 2

THE ISLAMIC UNIVERSITY JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE

Part 2

Issue: 19
January - March 2026